استدراكات

ابن الخشاب

على مقامات الحريري

وجواب

علامة المقدس ابن برى

طبعت

في مطبعة [الشركة الطبعية] بالآستانة الكائنة في خان الوزير

١٣٠٨

obeikandl.com

ترجمة ابن الخشاب

هو الشيخ ابو محمد بن الخشاب النحوى من اهل بغداد شيخنا فى علم الادب. اعلم الناس بكلام العرب. الطود الشامى. والبحر الطامى. كان فضله على افاضل الناس كفضل الشمس على النجوم. والبحر على الغدران. وله المؤلفات الغزيرة وهو الين سجية من الماء العذب. واخشن حمية من غرار العضب. وما اظن الدهر يسمح بمثله. وان الدهر العقيم ينتج احدا فى فضله. كان كثير الافادة غيرانه ينبو عن جواب الممتحن. نبوة المحتقر الممتهن. فيعز على المتكبر و يذل للمتكرم. متواضع عند العامة. مترفع على الملوك والخاصة. وتوفى ببغداد سنة ثمان وستين وخمسمائة وانا بالشام فرأيته ليلة فى المنام كانى اقول له مافعل الله بك فقال خيراً قلت فهل يرحم الله الادباء قال نعم قلت وان كانوا مقصرين قال يجرى عتاب كثير ثم يكون النعيم . وكان قليل الشعر. من شعره فى الشمعة :

صفراء من غير سقام بها كيف وكانت امها الشافيه
عارية باطنها ممتثل اعجب بها كاسية عاريه

وله فى الدفتر :

و ذى اوجه لكنه غير بائح ... بسر وذو الوجهين للسر مظهر

تناجيك بالاسرار اسرار وجهه ... فتسمعها بالعين مادمت تنظر

[من الخريدة للعماد الكاتب]

ترجمة ابن برى

هو ابو محمد عبدالله بن ابى الوحش برى بن عبدالجبار بن برى المقدسى الاصل المصرى الامنم المشهور فى علم النحو واللغة والرواية والدراية كان علامة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره اطلع على اكثر كلام العرب وله على كتاب الصحاح للجوهرى حواش فائقة اتى فيها بالغرائب واستدرك عليه فيها مواضع كثيرة وهى دالة على سعة علمه وغزارة مادته وعظم اطلاعه وصحبه خلق كثير اشتغلوا عليه وانتفعوا به وكان اليه التصفح فى ديوان الانشاء ولا يصدر كتاب عن الدولة الى ملك من ملوك النواحى الا بعد ان يتصفحه ويصلح ما لعله فيه من خلل خفى وله حواشى على درة الغواص فى اوهام الخواص للحريرى وله جزء لطيف فى اغاليط الفقهاء وله الرد على ابى محمد بن الخشاب الذى بين فيه

غلط الحريرى فى المقامات و انتصر لبحريرى وما اقصر فى عمله . وكانت ولادته بمصر فى الخامس من رجب سنة تسع وتسعين واربعمائة وتوفى بمصر ليلة السبت السابعة والعشرين من شوال سنة اثنين و ثمانين و خمسمائة .

[ابن خلكان باختصار]

obeikandl.com

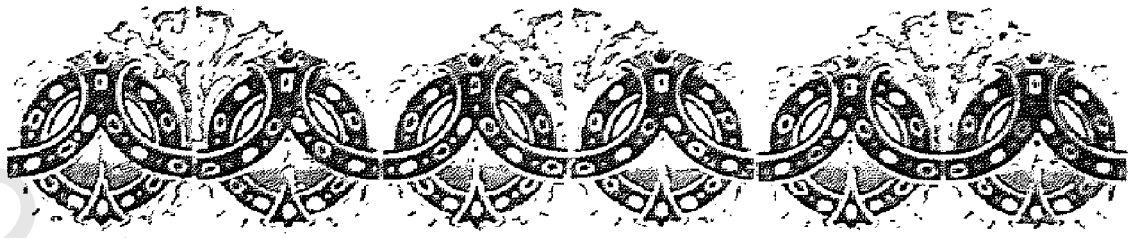

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستحق الحمد ومستوجبه. وصلواته على خيرته من خلقه ومنتخبه. المخصوص باشرف كتبه. و على آله وصحبه وذوى نسبه. مالع آل بسببه و همع خال بصيبه. وبعد فهذه حروف وقعت فى المقامات التى انشأها القاسم بن على الحريرى ينكرها العالمون بالعربية بما تنطق به مصنفاتهم و تتفق عليه مؤلفاتهم نبه عليها العبد الفقير الى رحمة الله عبد الله بن احمد ابن الخشاب البغدادى حين قرئت عليه المقامات و لعلها اخذت عنه اكثر من اخذها عن جامعها و قد كان ابن الحريرى عفا الله عنا و عنه مكبا عليها صارفاً مدة مهله فيها و اليها ينقح منها اللفظة بعد اللفظة ويستشفها فى كل لحظة فهى بنت عمره وبكر دهره ولقد خطب اكثرها من مواضع يدل تهديه اليها على

فضل بارع ولم يكن رحمه الله مدفوعاً عن فطنة ثاقبه وغريزة
فى التلفيق مطاوعة مجاوبه و من العجيب انه ورد بغداد
سنة اربع وخمسمائة فاخذ المقامات عنه البغداديون وكان
بها اذ ذاك بقية من الموسومين بعلم الادب والطالبين لكلام
العرب فلم يتعلقوا عليه فيها عند سماعها منه الا بلفظة واحدة
نازعوه فيها و خرجوا معه على السواء لانها وقعت فى كتب
اهل اللغة على خلاف فيها وهى النهار فرخ الحبارى والليل
فرخ الكروان هذا هو المشهور ويقع فى بعض كتب اللغة
بخلافه فكانت منا زعتهم اياه فى هذه اللفظة و قد وقعت
بخلاف كما ترى وله اشياء فى اثناء مقاماته لو روجع فيها لاقر
مع الانصاف بالخطأ فسلم ساكتاً اولنازع مباهتاً وانا اسوقها
بمشيئة الله تعالى على التوالى موضعاً فموضعاً مع تمهيدى
عذره لقلتها فى جنب صوابه ومامر من المحاسن فى اثناء
كتابه وعلمى بان الكامل من عدت سقطاته والفاضل من
احصيت هفواته وانبه مع ذاك على مواضع اخذ منها
واستعان بها وانحى عليها و غصبها وبالله استعين وهو حسبى
ونعم المعين .

الخطبة

قال فى اول كتابه فى الخطبة (ونعوذ بك من شرة اللسن

وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة النكن وفضوح الحصر)

﴿ قال ابن الخشاب ﴾

هذا الكلام بعينه فى اول كتاب البيان و التبيين لابى عمرو عثمان بن بحر بن محبوب الكنانى المعروف بالجاحظ ويقال له الحدقى ايضا و هذا الكتاب اشرف مصنفاته واغزرها فائدة على كثرتها وتفننها مع كبير حجم و كثير علم و ان كان كتابه فى الحيوان اضخم منه واكبر حجماً ولكن هذا اغزر عند طالب البلاغة علماً ولاحرج على ابن الحريرى فانه اغار على بلديه. ومن يحل حبوته فى غير نديه. اقتداءً بقوله:

واحيانا على بكر اخينا اذا مالم نجد الا اخانا

بصرى صالت بصريا كما قال غدافر:

بصرية تزوجت بصريا يطعمها المالح والطريا

اخرى له فى الخطبه قال فيها فيما يقع فى اكثر النسخ وهى التى سارت قبل التثقيف والتنقيح و قد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فقال (وقلت وانت اصدق القائلين انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين) ظناً منه ان المراد بالرسول فى هذه الآية محمد النبى صلى الله عليه وسلم فرى على الظن ثم مضت عليه برهة بعد ان اخذت عنه

المقامات والتشرت فعثرعلى ان ذلك انما هو وصف جبرئيل عليه السلام وهو المكين عند ذى العرش فكر على النسخة مغيراً اعتقاداً منه انه اخطأ فى الاول وكيف وقد غربت وشرقت و اشأمت واعرقت وكان تغييره فى النسخة الثانية (فقلت وانت اصدق القائلين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) ولعمرالله لقداخطأ فى الاول والآخر اما الاول ففى ظنه انه صفة النبى صلى الله عليه وسلم وهى فيما ذكرا كثر المفسرين و جاء عنهم من طرق كثيرة حسان الاسانيد فى صفة جبرئيل صلى الله عليه ذكره ابو جعفر النحاس فى معانيه وكذلك ذكر غيره وقال روى معمر عن قتادة انه قال يعنى جبريل المعنى على هذا القول انه لقول رسول كريم على مرسله. واما الثانى فتغييره لما وقع له اولا حتى عثر من بعد على القول الذى ذكرته فى بعض الكتب فظن ان الاول خطأ لايجوز فاخذ يتتبع النسخ ويغيرها بناءً على جهله باقوال المفسرين والذى ظنه اولا من انه صفة النبى صلى الله عليه وسلم قد ذهب اليه من اهل التفسير ذكر ذلك النحاس و غيره فقال و قيل الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فجهل ما عليه الاكثرون فى وصفه الاول وجهل الجواز فى وصفه الثانى واختلاف النسخ تشهد بصحة ماوردت والعلة فى اختلافها مابينت .

قال ابن برى

ليس الراجع عن الوجه الضعيف الى الوجه القوى بغالط لانه غير مقطوع على ابن الحريرى انه لم يمر به جواز الوجه الاول من كتب التفسير و انما تركه لان اهل التفسير اكثرهم على خلافه فعدل الى ماليس فيه خلاف عند احد من الناس ويقوى ذلك انه اذا انكر عليه الوجه الاول فلابد له ان ينظر فى كتب التفسير لينظر هل الامر على ماذكر ام على خلافه ولما وقف عليه رأى الاكثر على خلاف ماذهب اليه فعدل عنه الى مالا خلاف فيه .

قال ابن الحريرى فى الخطبة ايضاً فيما بعد : (على انى وان اغمض القطن المتغابى. ونضح عنى المحب المحابى . لا اكاد اخلص من غمر جاهل. اوذى غمر متجاهل. يضع منى لهذا الوضع. ويندد بانه من مناهى الشرع. ومن نقد الاشياء بعين المعقول. وانعم النظر فى مبانى الاصول. نظم هذه المقامات فى سلك الافادات و سلك بها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات. ولم نسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات . ولا اثم رواتها فى وقت من الاوقات) ثم تلا ذلك بالفصل بعده الى ان انشد :

على انني راض بان احمل الهوى واخلص منه لاعلي ولا ليا

﴿ قال ابن الخشاب ﴾

لوامسك عن هذا الفصل لامسك عنه ولكنه غمر الزارى عليه فى وضع المقامات وجهله وندد عليه فان ما اعتمده من ان وضع المقامات من مناهى الشرع مصيب من هذه الجهة وابن الحريرى فى الاحتجاج عليه بما ساقه من كلامه فى هذا الفصل غالط اومغالط اذ كان ما احتج به من الموضوعات على السن العجماوات والجمادات لايشبه مااخذ فيه من ذكر الحارث بن همام وابى زيد السروجى لان ماذكر من ذلك فى الكتاب الموسوم بكليلة ودمنة او حكايات السندباد موضوعة وضع الامثال لتفيد الحزم والتيقظ و تنبه على مواضع الزلل فى الرأى لاخى الغفلة وتعطى التجربة لذى الغرة ولذلك وضعت الامثال وقد قيل فى حد المثل انه القول الوجيز المرسل ليعمل عليه وقد ضرب الله سبحانه الامثال فى كتبه المنزلة على انبيائه عليهم السلام بما يخرج عن هذين الضربين و يجل عن التشبيه بهما اما مافى كليلة ودمنة وماجرى مجراه فلايجهل انه لمجرد التجربة ولايلتبس فيه صدق بكذب اذكان خارجاً عن المألوف ومبايناً للمعروف ظاهراً لكل احد ان الاسد

لايخاطب الثعلب على الحقيقة ولاالبحر الشجرة ولاالقرد السلحفاة ولاالحمام انثاه اذا اخبربه مخبر لم يلتبس بصدق فعلم المقصود به بديهة والاخبار عن الحارث بن همام عن ابى زيد السروجى ممكن ان يكون مثله ولم يكن ذاك فهو كذب لامحالة ملتبس مثله بالصدق اذ غير مستحيل فى العرف والعادة ان يوجد فى الناس داهية يكنى ابازيد و يكون من سروج و يكون من البلاغة والفصاحة والتصرف فى ابواب الحيل فى المعاش ماحكى عنه الحارث بن همام وكذلك وجود الحارث واتفاق اجتماعه مع ابى زيد على ماوصف ابن الحريرى فهذا يشبه الصدق من وجه ويدخل تحت امكانه فهو كذب لان واضعه لايدعى صحته والاول لايشبه الصدق فى وجه فامره غير مخيل فقد وضح انه غالط فى التمثيل او مغالط .

المقامة الاولى

قوله (خاوى الوفاض بادى الانقاض .)

قال ابن الخشاب

الوفاض جمع و فضة و هى الجعبة قال الشنقرى :

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفا اذا واجهتهن النحور اقشعرت

فاستعار ها هنا للمزود لانه يريد عدم الزاد والزاد لا يكون فى الجعبة وانما باستعمال الجمع استعمال الواحد لان الموضع لا يقتضى الجمع انما يقتضى الافراد والمعنى عليه الا ترى انه اذا فسر صار خاوى الجعاب و لا معنى للتكثير هنا .

قال ابن برى

الذى فى شعر العنفرى :

اذا انت اولى العدى اقشعرت

العدى الرجالة والسيحف السهم العريض والذى انكره ابن الخشاب على ابن الحريرى من قوله خاوى الوفاض كما ذكر فى رده عليه هو بعينه فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم على ما رويته الثقات عنه وهو انه صلى الله عليه وسلم امر ان تجعل الصدقة فى الاوفاض قال الفراء فى تفسير الحديث على ما رواه الهروى عنه الاوفاض هم الذين معكل واحد منهم وفضة يلقى فيها طعامه وهى مثل الكنانة الصغيرة فهذا نص من الفراء على ان الوفضة تكون التى يجعل فيها الزاد وتكون الكنانة التى يجعل فيها السهام فلابد فى الحديث من حذف مضاف تقديره امر ان تجعل الصدقة فى ذوى الاوفاض ثم

حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه على حد قوله سبحانه وتعالى واسئل القرية اى اهل القرية وقد نص ابن السيرافى على ان الوفض جمع وفضة التى يجعل فيها الزاد وذلك على شرحه بيت الكتاب وهو :

بينا نحن نرقبه اتانا معلق وفضة و زناد راعى

نصب وزناد راعى على العطف على موضع وفضة لان الاضافة فيه فى تقدير الانفصال تقديره معلقاً وفضة وزناد راعى قال ابن السيرافى الوفضة فى البيت مثل الخريطة تكون للفقراء يجعلون فيها ازوادهم قال وزعموا ان اهل الصفة كانت معهم وفاض وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان تجعل الصدقة فى الاوفاض اراد اهل الصفة انقضى كلام ابن السيرافى. وقد نص على ان لوفضة هى التى يكون فيها الزاد للفقراء واكد ذلك بما روته الرواة وهو قوله وقد زعموا ان اهل الصفة كانت معهم وفاض فالواو فى زعموا هى ضمير الرواة كانه قال وزعمت الرواة ان اهل الصفة كانت معهم وفاض وهى التى تقدم تفسيرها من ان واحدها وفضة لما يجعل فيه الفقير زاده فهذا نص آخر زائد على ما ذكره الفراء وابن السيرافى. واما قول ابن الخشاب بعده هذا وقد اساء فى استعمال الجمع استعمال الواحد لان الموضع لا يقتضى الجمع انما يقتضى الافراد والمعنى

عليه يعني ان ابن الحريري استعمل الاوفاض موضع الوفضة فهو تحكم منه اعني قوله لان الموضع لايقتضي الجمع الاترى انه يجوز ان يكون معه وفضة فيها كعك ووفضة فيها سويق ووفضة فيها تمر ودقيق فمن اين قطع على انه لم يكن معه الاوفضة واحدة واظنه انما حكم بان الموضع الافراد من جهة انه قال بعد هذا « لااجد في جرابي مضغة » وليس في هذا دليل على انه اراد جراباً واحداً بل يجوز ان يريد به الجمع كما يقول القائل اذا مدح انساناً ليس في ازاره فضل ولافي ثوبه خرق ولافي انائه صدع ولافي حاجبه منع فيأتي باللفظ على الافراد ولايمتنع ان يراد به الجمع الاترى انه ليس بلازم ان يكون ازاراً واحداً ولاثوباً واحداً ولاانائاً واحداً ولاحاجباً واحداً بل هذا اللفظ يطلق على الواحد وعلى الجمع وعلى ذلك قول ابن خياط العكلي :

فكل قوم اطاعوا امر سيدهم الا نميراً اطاعت امر غاويها

فليس يريد سيداً واحداً وانما يريد كل سيد لهم وكل غاوٍ لهم ويروى امر مرشدهم ومما وقع فيه الواحد موقع الجمع قوله سبحانه (في جنات ونهر) يريد وانهار وقوله جل وعز (وعلى سمعهم وعلى ابصارهم) اي وعلى اسماعهم وعلى ابصارهم وانشد سيبويه :

بهجين الخسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب يريد واما جلودها . وانشد ايضاً :

فى حلقكم عظم وقد شجينا

اى فى حلوقكم . وانشد ايضاً :

كلوا فى بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص

يريد فى بعض بطونكم . ومن هذا قول قيس بن الخطيم :

اتعرف رسماً كاطراد المذاهب
لعمرة وحشاً غير موقف راكب

ديار التى كادت ونحن على منى
تحل بنا لولا نجاء الركائب

فاوقع رسماً موقع رسوم بدلالة انه ابدل منه ديار وهى جمع .

قوله : (احاطة الهالة بالقمر والاكمام بالثمر)

قال ابن الخشاب

هو بعينه كلام ابى العلاء المعرى فى رسالته موجودة فى جملة رسائله خطفها ابن الحريرى بعينها .

قوله : (لكى يجهل مربعه)

﴿ قال ابن الخشاب ﴾

استعمل هنا المربع استعمال الربع لانه يريد هاهنا المنزل وما اصاب فى ذلك لان الربع المنزل حيث كان والمربع منزل القوم فى الربيع خاصة كالمصيف والمشتا وتلك منازلهم فى هذه الازمنة خاصة وذلك ظاهر لمتأمله قال الحطيئة :

امن رسم دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشئون وكيف

﴿ قال ابن برى ﴾

انكر ابن الخشاب على ابن الحريرى قوله لكى يجهل مربعه يقال ربع بالمكان اقام به فى الربيع ، يقال ربع بالمكان اقام به حيث ما كان واسم المكان منهما مربع قياساً مطرداً عند النحويين كالمصنع من صنع والمصرع من صرع والشاهد على قولهم ربع بالمكان اذا اقام به حيث ما كان قول الحادرة

بكرت سمية غدوة فتمتع وغدت غدو مفارق لم يربع

فقوله لم يربع اى لم يقم وكذا فسره المفضل فى المفضليات وقال يقال ربع بالمكان اذا اقام به ولم يشرط ربيعاً ولا غيره فعلى هذا يصح ان يكون المربع لمنزل الانسان من بيته وداره

ونحو ذلك وعليه يصح قول يزيد بن الصعق :

فزعتم لتمرين انسيظ وانتم يشن عليكم بالقنا كل مربع

اى كل مكان تقيمون فيه . واما قول اهل اللغة ان المربع اسم للمنزل فى الربيع خصة فانما يريدون به الاكثر وهو الاصل ثم اتسع فيه فجعل لكل مكان اقام به الرجل الاترى انهم لايكادون يذكرون المربع فى اسم الزمان وهو ايضاً قياس مطرد مثل اسم المكان وشاهده قول الحطيئة :

امن رسم دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشئون وكيف

قال ابوعلى تقديره امن رسم دارى مربع ومصيف فالمربع والمصيف على هذا اسم لزمان الربيع والصيف وكذلك قول جرير :

ردوا الجمال بذى طلوح بعدما هاج المصيف وقد تولى المربع

اى ردوا الجمال من موضع رعيها الى الحى حين ارادوا التحمل وقد اتى المصيف وتولى المربع واذا اقبل زمن الصيف وتولى زمن الربيع يبس العشب فى الارض وكذلك المربع قد يكون ايضاً اسماً للمصدر فى نحو قولهم ربعت بالمكان مربعاً ولايكادون يذكرون المربع الا فى اسم المنزل بالربيع واتما ذكرهذا مبيناً لاهل النحو ويجعلون له باباً مفرداً اوقياساً مطرداً وماخرج عن القياس فى بناء ذكروه .

وفيها فى النظم :

(ولاشرعت بى على مورد يدنس عرضى نفس حريصه)

قال ابن الخشاب

هو يحتال ويسأل ويخرج فى صور البذالة من مسئلة وغيرها فحاله لاتطابق النزاهة التى ادعاها فى البيت وذلك ايضاً ظاهر .

(قال ابن برى)

الذى قاله ابن الحريرى صحيح وليس المعنى فيه على ماقاله ابن الخشاب وانما اراد ان الدهر الجاء الى السؤال والاحتيال ولم يكن من اهل ذلك فيما تقدم الاتراه يقول قبل البيت :

والجأنى الدهر حتى ولجت بلطف احتيالى على الليث عيصه
على انى لم اهب صرفه ولانبضت لى منه فريصه

ثم عطف على قوله :

ولاشرعت بى على مورد

اى لم اكن ممن يهاب صرف الدهر فيما مضى من عمرى ثم عطف عليه قوله : « ولاشرعت بى على مورد » فاثبت لنفسه النزاهة قبل ان الجأه الدهر الى السؤال

اى لم اكن ممن هاب صرف الدهر ولا ممن نبضت له فريصة ولا ممن شرعت به نفسه على مورد اهانة واذا ثبت ان المعنى على هذا بطل ماذهب اليه ابن الخشاب من كونه جمع بين النزاهة والاختيال فى صورة البذاة من مسئلة وغيرها .

وقال فى آخرها : (فانصرفت من حيث اتيت وقضيت العجب ممرأيت)

قال ابن الخشاب

قال الاصمعى فى كتابه فيما تغلط فيه العامة يقولون قضيت العجب من كذا والصواب ما كدت اقضى العجب والمعنى على ماقال الاصمعى لانهم يريدون طول التعجب والمبالغة فى وصفه بالكثرة فكانه ماكاد ينقضى وانشد :

انبئت ان شبيه الوبر اوعدنى فاقضيت لهذا الوعد عجبا

ولقولهم قضيت العجب وجيه ضعيف وماقاله الاصمعى هو الوجه .

(قال ابن برى)

ذكره ان الصواب على ماحكاه عن الاصمعى ما كدت اقضى العجب ثم قال بعد هذا ولقولهم قضيت العجب وجيه

ضعيف ولم يبين ذلك الوجيه الضعيف الذى يصح عليه قضيت العجب وانما منعه من ذكر الوجيه الذى صغره ووصفه بالضعف مخافة ان يتعصب متعصب لابن الحريرى فيقوى ذلك الوجيه الضعيف ويصححه والذى يتوجه عليه قول ابن الحريرى هو انه يصح ان يقال قضيت العجب على معنى انقضى عجبى لبلوغه النهاية التى لامزيد عليها كما يقال عند افراط العجب عجبت حتى ماعجبت اى عجبت حتى فنى عجبى لانه بلغ غاية لامزيد بعدها وعلى هذا قول ابى الطيب المتنبي :

فعجبت حتى ماعجبت من الظبا ورأيت حتى مارأيت من السنا

اى عجبت من الظبا حتى ماعجبت ورأيت من السنا حتى مارأيت اى حتى انقضى عجبى ورؤيتى لبلوغهما النهايه التى لامزيد بعدها كما انه اذا انتهى السائر فى الارض الى الغاية التى لايمكنه ان يسير بعدها فقد انقضى سيره وانقطع سعيه.

المقامة الثانية

قال فيها: (فانفيت ابازيد يتقلب فى قوالب الانتساب ويخبط فى اساليب الاكتساب)

قال ابن الخشاب

القوالب خطأ لا تستعمل منه العرب فى حال الاختيار والسعة فان اضطر الى منه الشاعر كان قليلاً فى ضرورة الشعر وذلك ان الواحد قلب لا قلاب ولا قلوب. قال ابو بكر ابن دريد والقالب الذى يصب فيه الشئ من صفر او غيره فيجئ منه يقال هذا قالب كذا وفى العين المنسوب الى الخليل بن احمد: القالب دخيل ومنهم من يقول قالِب. قلت كلا المثالين من فاعل وفاعل انما يكسر على فواعل بغير ياء تقول فى تابل توابل ولا تقل توابيل وفى خاتم وخاتم جميعاً خواتم ولا تقل خواتيم الا فى جمع خاتام او خيتام فانها لغة فيه وكذا الطابع والطابع طوابع لا غير وكذا الطابق والطابق طوابق وقول العامة طوابيق والطوابيق خطأ فاحش فالوجه حينئذٍ قوالب وقد يعطلون الكسرة فى مثل هذا فى ضرورة الشعر فتنشأ عنها ياء فيقولون فى صيارف صيارِيف وفى دراهم دراهيم وانشد سيبويه فى كتابه فى باب ما يحتمل الشعر وربما مدوا فقالوا مساجيد ومنابير شبهوه بما جمع على غير واحده فى الكلام كما قال الفرزدق :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة
نفى الدراهيم تنقاد الصياريف

وعليه قول ابى الطيب :

ولاصبغ الحوا جيب

ولاخلاف بينهم ان استعمال هذا فى الكلام المنثور لايجوز وانما يجوز فى ضرورة الشعر قليلا وعكسه انهم يحذفون فى الشعر هذه الياء من الجمع الذى يستحقها ضرورة فيقولون فى طواويس طواوس وفى عواوير عواور قال :

وكحل العينين بالعواور

ولايطرد مجئ هذه الياء فى الجمع الا فيما رابع واحده حرف علة كفاعال نحو ساباط تقول سوابيط وفاعول نحو كانون تقول كوانين وعاتور تقول عواتير وافعول تقول فيه افاعيل نحو اسلوب واساليب واركوب واراكيب.

(قال ابن برى)

اعلم ان للسجع ضرورة فى النثر تضاهى ضرورة الوزن فى الشعر من الزيادة والنقصان والابدال وغير ذلك الا تراهم حركوا الساكن فيه كما يحركونه فى الشعر كقولهم فى صفة ليالى القمر ثلاث درع وكان قياسه درع بسكون الراء وانما حركوها اتباعاً لقولهم ثلاث غرر و ثلاث

ظم وحذفوا التنوين فيه كما حذفوه فى الشعر فقالوا شهر ثرى وشهر ترى وشهر مرعى فحذفوا التنوين من ثرىً ومرعىً اتباعاً لقولهم ترى لكونه فعلا وكذلك ابدلوا الهمزة الفاً فى نحو قولهم انكحنا الفرافسترى فابدلوا همزة القراء الفاً اتباعا لقولهم سترى وابدلوا ايضاً الحرف المضاعف ياءً فى نحو قولهم له الضيح والريح فقلبوا الحاء ياءً فى الضيح وكان اصله الضح بحاء مشددة اتباعاً للريح حكى ذلك الخليل وابوحنيفة الدينورى وروى فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال للنساء ارجعن مأزورات غير مأجورات فابدلت الواو فى موزورات الفاً اتباعاً لمأجورات وقد جاء مثل هذا فى فواصل القرآن لتتفق الفواصل ومن الزيادة قوله جل وعز اضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا فزادوا الفاً كما زادوها فى الشعر على جهة الاطلاق ومن النقص قوله جل وعز والليل اذا يسر حذفت الياء من يسرى اتباعاً للوتر وما تقدمه وكذلك حذفت الياء من قوله جل وعز ربى اكرمن وربى اهانن كما تحذف فى الشعر كقول الشاعر :

وهل يمنعنى ارتيادى البلا دمن حذر الموت ان يأتين

فاذا ثبت هذا فلا انكار على ابن الحريرى فى اشباع

الكسرة ومطلها في قوافي بتوافق سجعتها التي هي اسلاب كما يفعل ذلك في الشعر في نحو قوله :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة
نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

وفيها: (ان خلاصة الجوهر يظهر بالسبك)

(قال ابن الخشاب)

هو دائما يستعمل الخلاصة استعمال خلاص الشيء وليس الامر على ذلك. خلاصة الشيء مايلقى عنه بعد التخليص فهي كالبراية والنحاتة والقلامة والقمامة والنخالة والسحالة والقوارة وقد بينت ذلك .

و فيها :

(فزحزحت شفقاً عني سنقر
وساقطت لوءلوءاً من خاتم عطر)

(قال ابن الخشاب)

في هذا البيت مع روعته في اول نظرة ان السنا الضوء وضوء القمر لايغيبه الشفق فان اراد به الهلال فالمعنى جيد .

وقال فيها ايضاً :

﴿ ثم على التبر عار في النار حين يقلب ﴾

﴿ قال ابن الخشاب ﴾

ان اراد التقديم والتأخير في البيت فيكون الاصل «فعار على التبر عار حين يقلب في النار» وهو الظاهر من مراده فهو لحن لان يقلب في موضع جر باضافة حين اليه والتقدير حين تقليبه كما قال جل وعز «يوم يقوم الناس لرب العالمين» اى يوم قيام الناس لرب العالمين وامثلته كثيرة وهو مما اختصت به ظروف الزمان دون غيرها من الاضافة الى الجمل لعلة ذكرها اهل العربية واذا كان كذلك وكانت في متعلقة بيقلب كان معمولاً له والمعمول انما يقدم بحيث تقديم العامل والعامل هاهنا مضاف اليه لايصح تقدمه على المضاف لانه كبعضه وبعض الاسم لايصح ان تقدمه على بعض فاستحال لهذا ان يتقدم في على حين ان كانت متعلقة بيقلب والمعنى على ذلك فيحتاج البيت حينئذ الى تأويل نحوى ليس من بز ابن الحريري وهو ان تكون في متعلقة بالجار والمجرور الاول وهو قوله على التبر لانه نائب عن فاعل هو الخبر في الحقيقة اذ التقدير: فعار كائن على التبر او مستقر

فى النار اى فى صلى النار والتقلب فيها. فيجوز حينئذٍ فى حين ان تكون منصوبة بما تعلقت به فى وهو الخبر المقدر اعنى كائناً اومستقراً ويجوز ان تكون منصوبة بالمضاف الى النار المحذوف وهو الصلى وماشبهه مما يصح المعنى بتقديره ويكون هناك عائد محذوف تقديره فيها وقد حذف للعلم به كما حذف فى قولهم وشهر ترى اى ترى فيه وقوله جل وعز «يوم لاتجزى نفس عن نفس» اى فيه على تقرير صاحب الكتاب وليس تعلق حين بالصلى وماجرى مجراه مع حذفه بممتنع لكونه كالصلة له لانه بمنزلة المنطوق به لقيام المضاف اليه مقامه وقد يحتمل البيت غير هذا من التأويل .

المقامة الثالثة

قال فيها : (كانما من القلوب نقرته)

قال ابن الخشاب

النقرة مخصوصة بالفضة وبعيد استعمالها فى الذهب

وفيها فى ذم الدينار :

(يبدو بوصفين لعين الرامق زينة معشوق ولون عاشق)

قال ابن الخشاب

اى ذم له اذا بدا بها بين الصفتين هما الى المدح اقرب وما قلته ظاهر لمشاهدته .

المقامة الرابعة

قال فيها: ﴿الى ان نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه﴾

قال ابن الخشاب

جعل التعريس النزول مع الصبح ثم ذكر انه مع سكون الاصوات للنوم او الراحة سمع مراجعة الرجلين وتناقضهما فى الكلامين من الاخذ بافضل فى المصافاة واستعمال الحزم فى المكافاة وانه لم يعرف عينهما قال « فلما لاح ابن ذكاء والحف الجو الضياء غدا قبل استقلال الركاب» قد اخبر انهم نزلوا للتعريس مع الصبح وابن ذكاء ايضا هو الصبح وهذا فساد فى الوضع لانه لا زمن هناك يستراح فيه ولانه على ما وصف اولاً من انقضاء الليل بالسرى يكون زمن النزول اقرب الى النهار من الزمن الذى اخذ يستقرى فيه صوب الصوت الليلى ويؤكد ذلك انه جعل الصوت ليليا واى ليل

بقى مع انه قد نخنا الليل شبابه وسات الصبح خضابه وهذا ظهر الفساد فتأمله ويؤكده ايضاً قوله «فعلمت انهما نجيا لياتى» واى ليلة كانت هناك .

وفيها ايضاً: (فابثنا نرقبه رقبة اهلة الاعياد ونستطلعه بعيون الطلايع والرواد)

قال ابن الخشاب

قوله نستطلعه بعيون الطلايع والرواد كلام مغسول لولا تخنيسه. وقوله (ولاحت الشمس فى الاطمار استعارة بعيدة)

قال ابن برى

لاشئ احسن من استعارة الاطمار للشمس عند غروبها لان الشفق قد صار عليها كالملبس لها وهى تضئ فيه فكانها قد لبست اطمارا وهى الثياب الخلقان .

و فيها :

(قلت لاصحابى قد تناهينا فى المهلة وتماديتا فى الرحلة الى ان اضعنا الزمان)

قال ابن الخشاب

تماديتا فى الرحلة ضد مراده ومقصده لانه يريد انهم

تمادى بهم المقام والرحلة لو تمادت لكانوا فى سير متصل الآن يتأول على انه اراد تمادينا فى ترك الرحلة وبين لك المعنى كما ذكرت وانه اخطأ فى هذا الاستعمال الآن يتعذر له التأويل انك اذا قلت تمادى فلان فى غيه وضلالته انما تريد دام غيه وضلاله لانه كان فى غير الغى والضلال وكذلك اذا قلت تمادى فلان فى رحلته اردت دامت رحلته لانه كان فى غير رحلة وهى الاقامة فطال زمن اقامته وهو الذى قصده ابن الحريرى فعبر بما يؤدى الى ضد مراده وهذا بين الغلط بما كشفته واوضحته. قرأت على الرئيس ابى القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيبانى اخبرنى الامير ابو محمد الحسن ابن عيسى المقتدر بالله قال حدثنا ابو العباس احمد بن منصور البشكرى اخبرنا الصولى حدثنا الحرث بن ابى اسامة حدثنا على بن محمد بن سيف قال لما اشتد بلاء عبد الرحمن بن ام الحكم على اهل الكوفة قال عبد الله بن همام السلولى شعرا وكتبه فى رقاع وطرحها فى مسجد الكوفة وفيها :

الا ابلغ معاوية بن صخر ... فقد خرب السواد ولا سوادا
ارى العمال آفتنا علينا ... بعاجل نفعهم ظلموا العبادا
فهل لك ان تدارك ما لدينا ... وتدفع عن رعيتك الفسادا
وتعزل تابعا ابدا هواه ... يخرب من بلادته البلادا

اذا ما قلت اقصر عن مداه تمادى فى ضلالته وزادا

فبلغ الشعر معاوية فعزله والشاهد البيت الاخير .

(قال ابن برى)

هذا جائز فى اتساع كلام العرب على حذف مضاف تقديره تمادينا فى انتظار الرحلة كما قال جرير :

لما تذكرت بالديرين ارقنى صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

قال ابو على تقديره ارقنى انتظار صوت الديكة لانه كان مزمعاً على الخروج وقت صياح الديكة فارقه انتظار صوتها لا صوتها وهذا النحو كثير فى القرآن وفى الشعر وقيل فى قوله سبحانه «قبضت قبضة من اثر الرسول» ان تقديره قبضت قبضة من تراب حافر فرس الرسول فحذف هذه المضافات اتساعا لفهم المعنى .

المقامة الخامسة

قال فيها: (قبيل انتيابكم ومصيرى الى بابكم)

قال ابن الخشاب

ليس هذا موضع استعمال الانتياب لان الانتياب معاودة الشىء مرة بعد اخرى ومنه سميت النحل نوبا لانتيابها

موضع تعسيلها وهى منباتها والانتياب افتعال من النوبة بعد النوبة وابوزيد لم يأتهم فى هذا الموضع مرة بعد اخرى ولا كثر اتيانه فلا معنى لاستعماله الانتياب الا انه ساقه الى استعمالها السجعة ولا عذر له فى ذلك نعم ويستعمل الانتياب فى الجماعة بمعنى انهم نجئ منهم طائفة وتذهب اخرى فيقال دهم فلاناً امر انتابه الناس لاجله اى جاء منهم قوم بعد قوم ويؤكد احالة الاستعمال الذى قصده نفس وضعه فيما بعد لانهم استفسروا ابازيد عن طرفة مر آه قال «ان مرامى الغربة لفظتنى الى هذه التربة» فهذا مر آها الا هذه المرة فان معنى الانتياب حينئذ وذا ظاهر الفساد لمتأمله. [لم يذكر ابن برى عنها جوابا]

وفيها: (نضو سرى خابط ليل الليل)

قال ابن الخشاب

هذا يكاد يناقض قوله فى اول المقامة فى صفة هذه الليلة اديمها ذولونين لان الليل الاليل والليلة الليلاء لا تكون ذات ضوء بتة قال الشنفرى:

فايمت نسوانا وايتمت ولدة ... وعدت كما ابدات والليل اليل

وكذا قوله :

وقد دجا جنح الظلام البهيم

هذه الليلة قد وصفها بان جنحها ابيض بقمرها وقد انقضى بقوله «روق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم» ولعله اراد جنح ليلة اخرى هذا هو الوضع البارد الفاسد .

(قال ابن برى)

الذى قال ابن الحريرى صحيح لانه لم يصف الليلة بانها قمراء يكون القمر فيها من اولها الى آخرها وانما ذكر ان القمر فى اولها الاتراه يقول فيها قمرها كتعويذ من لجين وهو ما يجعل فى قلادة الصبى ونحوه فهذا يقضى بان القمر كان ابن اربع او خمس واذا كان كذلك كان غروبه سريعاً واذا غاب القمر اقبل الليل بظلمته الاتراه يقول فلما روق الليل البهيم اى مد رواق ظلمته ولم يبق الا التهويم فاطلق على ما بقى من الليل اسم الليل وعلى هذا قول العرب جاءنا فلان بليل اذا جاء بعد ما مضت منه طائفة صالحة وعليه فسر ابو على قوله جل وعز «سبحان الذى اسرى بعبده ليلاً» على نحو قولهم جاءنا بليل اى بعدما مضت منه طائفة ولا يتضح المعنى عنده الا على هذا لانه قد علم الاسراء لا يكون الا ليلاً ولا يكون نهاراً فان خصصت الوقت من الليل جاز فقلت سرى من

اول الليل ومن وسط الليل ومن آخر الليل ومما يقوى ذلك ان ما بقى من الليل يوقع عليه اسم الليل قول الشنفرى يصف انه سرى فى ليلة واحدة تطلب الفتك فتك وغنم وعاد فى ليلته وهو :

فبيت نسوانا وبيت ولدة ... وعدت كما ابدأت وليل اليل

الا تراه يقول قبل البيت :

وليلة بردٍ يصطلى القوس ربها ... واقطعه اللائى بها يتنبل

فوقع اسم الليل على ما بقى منه وهو قوله والليل اليل اى شديد الظلمة فهذا مثل قول ابن الحريرى خابط ليل اليل فى ايقاعه اسم الليل على بعض الليل ومثله قول عمر بن ابى ربيعة يصف انه اجتمع مع محبوبته بعد ان غاب القمر وهو :

وغاب قمر كنت اهوى غيوبه ... وروح رعيان وهوم سمر

وانما قال قمر مصغراً لكونه صغيراً لم يكبر بعد زال عند اجتماعه بها بعد غيوب القمر :

فيالك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلى قبل ذلك يقصر

فاوقع اسم الليل على ما بقى منه وذلك ان الليل الذى تقلص طوله هو ليل الوصل دون ليل الصد فلو كان ليل الصد لكان طويلا .

وقال فيها :﴿ فشكر عندذلك الصنع واستنفد فى الثناء الوسع ﴾

قال ابن الخشاب

اكثر مايستعمل فى مثل هذا الموضع الصنع والصنيعة فاما الصنع فيستعمل استعمال الصناعة .

(قال ابن برى)

الذى ذكر ابن الحريرى هو الصحيح قال الجوهرى الصنع مصدر قولك صنع اليه معروفاً ثم قال بعد هذا والصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة وهذا خلاف ماقاله ابن الخشاب .

وفيها:﴿ وشر الاضياف من سام التكليف وآذى المضيف ﴾

قال ابن الخشاب

قوله سام التكليف انما هو سائم التكلف كقوله تعالى « يسومونكم سوء العذاب »

(قال ابن برى)

كلام ابن الحريرى صحيح لانه يقال اسمته حاجة اذا

كلفته اياها وجشمته مشقتها فيكون المعنى شر الاضياف من جشم المضيف التكليف بما يشق عليه واراد العموم لكل ضيف كلف المضيف مشقة فدخل هو في الجملة وان كان حاضراً موجوداً .

وقال فيها: ﴿ فقضيناها ليلة غابت شوائبها الى ان شابت ذوائبها ﴾ وكذلك قوله في موضع آخر ﴿ الى ان شاب مفرق الدجى ﴾ يعني به اوائل الصباح .

قال ابن الحشاب

استعمال القوم في هذا ان يستعيروا لاواخر الليل الاعجاز وما جرى مجراها من الآخر قال امرؤ القيس :

واردف اعجازاً وناء بكلكل

واوائل الليل هواديه والذوائب في اعلى الرؤس فهي ينبغي ان تكون في اوائل الليل وقال المتأخر يعني ابا العلاء احمد بن سليمان المعري :

هذه لياتي عروس من الزنج عليها قلائد من جمان

وذوائبها على هذا لا تكون في ما آخرها الا ان تجعل مدة الليلة كالعمر له والشيب انما يكون في آخر العمر فعلى هذا تقرب

استعارته واما استعارة العرب فكما اريتك وعلى ان المتأخر قد قال :

ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ ـر فغطى المشيب بالزعفران

وهو يريد به اواخر الليل وقد وصفوا اختلاط اواخر الليل باوائل الصبح بالشمط فقالوا كان شمبط الصبح والشمط في الاصل هو الخلط فهذا يلمح استعارته ويقربها .

(قال ابن برى)

استعارة ابن الحريرى لاواخر الليل عند طلوع الفجر المشيب والشمط من احسن الاستعارات ومن انكر ذلك فقط انكر غير منكر وعلى ان ابن الخشاب قد رجع فى آخر كلامه الى تجويز ما انكره اولاً .

المقامة السادسة

قال فيها : ﴿انه مخر نبق ليذباع . ومجر من سيمد الباع . ونابض يبرى النبال . ورابض يبغى النضال﴾

قال ابن الخشاب

قوله نابض يبرى النبال استعمال لامعنى له لان النابض من قولهم نبض اذا تحرك ويقال انبض الوتر اذا مده ثم

ارسله فسمع له رنين قال النابغة :

انبضوا معجس القسى وابرو
نا كما توعد الفحول الفحولا

وكذلك يقال انبض عن قوسه اذا مد وترها ثم ارسله قال الشماخ :

اذا انبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى اوجعتها الجنائز

وبرى النبال انما يكون قبل هذه الحال بل ملء الكنائن من النبال وهى حالة بعد البرى تكون قبل المرامدة ومن امثالهم قبل الرماء تملاء الكنائن وكذلك قوله «رابض يبغى النضال» النضال المرامدة ولكن القرينة الثانية اقرب من الاولى وانما يدهى فى ضعف المعانى من تحكيم القرائن ولاعذر له فى ذلك .

[لم يقل ابن برى هنا شيئاً]

وقال فيها : ﴿ ومتى اخترع خرع . وان بده شده ﴾

قال ابن الخشاب

شده من الافعال التى جأت فى كلامهم مقصورة على بناء الفعل الذى لم يسم فاعله كقولك شدهت فانا مشدوه اى شغلت وهو مقلوب دهش ولايكادون يقولون شدهنى

كذا و لاشدهت زيداً فى كلام فصيح و قد بينوا ذلك فى المختصرات من كتب اللغة فضلاً عن غيرها .

(قال ابن برى)

انما قطع ابن الخشاب على ابن الحريرى بالغلط فى قوله شده ثقة بقول ثعلب فى الفصيح وقد شدهت وانما شدوه الاتراه يقول وقد بينوا ذلك فى الكتب المختصرات يعنى كتاب الفصيح ولم يعلم بان ابن درستويه انكر ماقال ثعلب وغيره من اهل اللغة وهذه حكاية لفظه قال ابن درستويه : « عامة اهل اللغة يزعمون ان هذا الباب لايكون الامضموم الاول ولم يقولوا انه اذا سمى فاعله جاز بغير ضم وهذا غلط منهم لان الافعال كلها مفتوحة الاوائل فى الماضى فاذا لم يسم فاعلها فهى كلها مضمومة الاوائل ولم يخص بذلك بعضها دون بعض وقد بينا ذلك بعلته وقياسه» وذكر انه يجوز «عنيت بامرك وعنانى امرك» و«شغلت بامرك وشغلنى امرك» و«شدهت بامرك وقد شدهنى امرك» فهذا الذى ذكره ابن درستويه تصحيح لقول ابن الحريرى وابطال لقول غيره وفى ذلك كفاية تغنى عن زيادة بيان وايضاح .

وفيها : (فقال له ياهذا ان البغاث بارضنا لايستنسر)

قال ابن الخشاب

بناء على المثل وهو قولهم ان البغاث بارضنا يستنسر والبغاث مالايصيد من الطير وقولهم استنسر البغاث اى صار فى حال النسر كما قالوا استنوق الجمل و استتيست الشاة واستحجر الطين واستفيل الجمل اى صار كالفيل عظماً والمراد بالمثل فى اصل كلامهم ان الذليل يكسب العز بارضنا فيصير الى حالة العزيز فاستعماله بغير لا و ان كان يؤدى مقصود الواضع فانه فى الضمن يدل على ان المتكلم قد اخبر عن بلاده بانها ليست بلاد عز فذم نفسه وقومه .

(قال ابن برى)

اعلم ان واضع المثل استعمله فى مدح ارضه التى فيها اقامته فى كون الضعيف بها يصير قويا وكذلك استعمله ابن الحريرى ايضاً فى مدح ارضه فى انه لايكون الصغير فى الفضيلة بها كبيراً فلهذا ادخل لا النافية فى المثل ليبقى المثل على اصله فى مدح الارض وايضاً فانه يجوز رد المثل الموجب منفياً عند المفاخرة فيقول القائل البغاث بارضنا يستنسر

والبغت بارضكم لايستتسر ولابد عند المفاخرة من نقل المثل الموجب الى النفى .

وقال فيها : (فاستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب)

قال ابن الخشاب

استعماله قاطبةً مضافة الى مابعدها وتعريفها به وادخال حرف الجر عليها يدل على جهله بعلم النحو وانه كان فيه مقصراً جداً لان العلماء بالعربية لايختلفون فى ان قاطبةً لاتستعمل الامنصوبةً على الحال مقتصراً بها على موضع واحد كذا نطقت به العرب ولم تستعملها فاعلةً ولامفعولةً ولامجرورةً ولامضافةً ولامعرفةً باللام و مثلها طراً وكافةً ولايقال طر القوم ولا كافة الناس قال الله تعالى «وماارسلناك الا كافةً للناس» هو فى احد التقديرين الا للناس كافةً ثم قدم. وقولهم كافة الخلق كلام مولد ليس بعربى محض وهو اسهل من استعمال ابن الحريرى قاطبة الكتاب. قال سيبويه فى باب ترجمته هذا باب مايجعل من الاسماء مصدراً كالمصدر الذى قبله فذكر الجماء الغفير ثم قال وهذا جعل كقولهم

مررت بهم قاطبةً ومررت بهم طراً الان هذا نكرة لاتدخله الالف واللام ثم قال فى الباب فصار طراً وقاطبةً لاينصرفان وهما فى موضع المصدر ولايكونان معرفة واظن ان ابن الحريرى قد لحن من استعمل قاطبةً واخواتها كما استعملها هو وحكى مذهب النحاة والعرب فيها فى مجموعه الموسوم «بدرة الغواص فى لحن الخواص» الا انه خالف الى ما نهى عنه سهواً اولانه عرفه بعد وضعه فى المقامات الخطأ وشبيه بحاله هذه ماتم فى كتب العلماء باللغة من النهى عن استعمال ماهم يستعملونه فى خطب كتبهم لغلبة لعادة هذا ابن قتيبة ينهى فى (ادب الكاتب) عن قولك عيرته بكذا وقال صوابه عيرته كذا بلاباء وقال فى خطبة الكتاب «وكانت قرينس تعير باكل الخبيئة» وكذا ابن دريد نهى عن هذا الاستعمال فاستعمله فى كتابه .

[لم يذكر ابن برى هنا شيئاً]

وفيها : (شيعته قاضياً حق الرعاية ولاحيا له على رفض الولاية)

﴿ قال ابن الخشاب ﴾

قوله حق الرعاية كلام مغسول ردىء فى الاستعمال

اذ لايقول من له ذوق فى صحة الاستعمال يافلان قدقضيت حق رعايتك وان كان ليس بالخطأ ولكنه كما ترى .

﴿ قال ابن برى ﴾

لامعنى لانكاره حق الرعاية لان حقا يضاف الى المصدر كقولك رعاه حق الرعاية وساسه حق السياسة و اله حق الايالة والايالة السياسة.

المقامة السابعة

قال ابن الخشاب

استعمل فى هذه المقامة اسكان الفعل المضارع المعتل بعد ان الناصبة و هو قوله «و اثرت ان افاجيه و اناجيه لاعجم عود فراستى فيه » وهى لغية لايثبتها اماثل النحويين ويلحنون مستعملها فى غير الشعر وكذا قوله فى المقامة العاشرة «والغلام فى ضمن تأبيه يخلب قلب الوالى بتلويه ويطمعه فى ان يلبيه » وقوله فيها « الام تشير لاقفبه ولا اقف لك فيه »

قال ابن برى

استعمل ابن الحريرى اسكان الباء فى موضع النصب لان ضرورة السجع فى النثر كضرورة الوزن فى الشعر ولما وجب اسكان الباء لاقامة الوزن كذلك وجب اسكانها لاقامة وزن السجعة فهذا مما يسامح به ابن الحريرى وله فيه شهادة مقبولة الا ترى ان الفواصل فى القرأن قد نزلت بمنزلة القوافى وذلك فى مثل قرأة من قرأ «والليل اذا يسر» فحذف الياء عند الوقف لتتفق اواخر الفواصل فى الوقف على الراء فيقرأ «والفجر وليال عشر و الشفع والوتر والليل اذا يسر»

وفيها : ﴿ لما قفشت الحسين ﴾

قال ابن الخشاب

هى لفظة عامية الا انه استعملها عمداً تظارفاً .

وفيها : ﴿ فهل حريرى تخفيـ ـف اثقالى بمثقال ﴾

﴿ قال ابن الخشاب ﴾

المثقال ليس على مايذهب اليه العامة من انه الدينار خاصة وهذا الوزن المخصوص بل كل مايوزن به مثقال فالذرة مثقال وصيغة الالف مثقال قال الله تعالى «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» اى وزن ذرة فيحتمل حينئذ بيته على انه بوزن ما اى وزن كان ولعله لم يقتد ذاك .

[لم يذكر ابن برى هنا شيئاً]

المقامة الثامنة

قال فيها: (فتلقفه الشيخ دون الحدث. واستخلصه على وجه الجدلا العبث. وقال للحدث نصفه لى بسهم مبرتى. وسهمك عن ارش ابرتى. ولست عن الحق اميل. فقم وخذ الميل)

قال ابن الخشاب

قوله فتلقفه الهاء فيه ترجع الى الدينار الذى اعطاهما القاضى الان قوله ونصفه الاخر ارشا للابرة من بارد الوضع وبعيده مع قوله ولست عن الحق اميل فلوان هذه

الابرة سنان قعضبي لم يبلغ ارشها نصف الدينار و لوكان الدينار من نقط العروس خفة وزن ونزول نقد .

[يذكر ابن برى هنا شيئاً]

المقامة العاشرة

قال فيها: ﴿ حتى إذا لاء لاء الافق ذنب السرحان ﴾

قال ابن الخشاب

يقع فى بعض النسخ المأخوذة عنه رفع الافق ونصب ذنب السرحان وفى بعضها عكسه وكلاهما خطأ لان لاء لاء لم يرد فى كلامهم متعديا انما يقال لاء لاء الشيء اذا لمع وفى المثل مالأ لأت الفور باذنابها والاشبه على الخطأ فى الاستعمال لاء لاء الافق ذنب السرحان لان ذنب السرحان الفجر الاول وهو الذى يضيء الافق لا الافق يضيئه قال ابو العلا :

وبلاد وردتها ذنب السر حان بين المهاد والسرحان

قال ابن برى

الرواية المشهورة عنه بنصب الافق وجعله ظرفاً متسعاً فيه على حد قول ساعدة بن جؤية :

قد اوبيت كل ماء فهي ضاوية مهما تصب افقا من بارق تشم

قالوا تقديره مهما تصب الحمر في افق بارقاً تشم فنصب افقا على الظرف وجعل من بارق مفعولا لتصب على زيادة من فيكون التقدير حتى اذا لاءلاء الافق ذنب السرحان ومثله قول ساعدة ايضاً :

لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

اى كما عسل في الطريق فاتسع فيه ونصبه على الظرف وذنب السرحان في بيت ابي العلاء منصوب على الظرف اى وقت ذنب السرحان وهو الفجر الاول والسرحان الثاني الذئب .

المقامة الثالثة عشرة

قال فيها : (ويسيرون القلب)

قال ابن الخشاب

يريد بالقلب هنا قلب الجيش والتقدير ويسيرون في القلب فحذف حرف الجر فافضى الفعل الى المجرور فنصبه الا انه لا يخلو في النصب من وجهين كلاهما غير جائز احدهما ان يكون نصبه على الظرف والقلب ظرف مكان واسماء

المكان انما تنتصب على الظرف اذا كانت مبهمة كالجهات الست وماجرى مجراها والقلب مخصوص كالدار والمسجد فكما لاتنتصب الدار وماجرى مجراها على الظرف كذلك القلب لايجوز انتصابه على الظرف .والآخر ان يكون منصوباً على المفعول به فى انه حذف حرف الجر فافضى الفعل اليه كما قال:

كانى اذا سمى لاظفر طائراً

اى بطائر فهذا ايضاً لايجوز لان حذف حروف الجر وافضاء الافعال الى المجرورة فتنصبها ليس بقياس انما هو موقوف على السماع لايتجاوز به استعمالهم وقد نص النحويون على ذلك فى كتبهم وهو اشهر من الاحتجاج له فان قلت ان سار قد يكون لازما متعديا تقول سارت الدابة وسرتها انا فان استعمال المتعدى هاهنا يبعد ويضعف به المعنى لانه يكون المراد فى التعدى يسيرون الثلب وليس مقصوده ذلك انما مقصوده يسيرون فى الثلب فافهم ذلك فانه خطا، منه فتأمله .

[لم يذكر ابن برى هنا شيئاً]

المقامة الخامسة عشرة

قال فيها : (حتى كدت اغاظله فى الكلام وآلسعه بحمة الملام)

قال ابن الخشاب

استعمل الحمة استعمال الابرة كما يستعملها العامة وقد رد ذلك اللغويون وعدوه فيما تغلط فيه العامة وقالوا ابرة لعقرب والزنبور ما يلسعان به فاما الحمة فهى سمهما وضررها وقال ابن سيرين يكره الترياق اذا كانت فيه الحمة وربما قال بعضهم فى الحمة هى فوعة السم وهى بمعنى القول الاول يريد شدة لذعه وحرارته واشتقوها من قولهم اشتد حمو الشمس وحميها فيجوز ان يكون المحذوف منها واواً ويجوز ان تكون ياءً و كونها واواً اولى حملاً على اكثر المحذوفات لامانها كبرة وقلة وسنة .

(قال ابن برى)

لم يضع ابن الخشاب فى هذا شيئاً لان ابن قتيبة انما انكر قول من يسمى ابرة العقرب والزنبور حمة وقال انما الحمة سمهما وضررها وانما خص العقرب والزنبور دون الحية من قبل ان الحية لا ابرة لها ولم ينكر لسعة الحية بحمها والحمة

هذا فوعة لم وحدته وكان ابن الخشاب ظن ان لمع لايكون الا مقترب فلهذا حمل الحمة على انها الابرة ولو بنى على ان لمع يكون للحية لحمل كلام ابن الحريرى على الغلط لان الحية لا ابرة لها .

المقامة السادسة عشرة

قال فيها: (فتلعوا نحوه الاعناق. واحدقوا به الاحداق)

قال ابن الخشاب

المنقول حدق به القوم واحدقوا بمعنى المجرد من الزيادة وليست الهمزة فى احدقوا للتعدية والنقل وقد استعملها ابن الحريرى فيه للتعدية وذلك غير معروف .

[يذكر ابن برى على هذا شيئا]

المقامة السابعة عشرة

قال فيها : (فما بس منهم انسان. ولا فاه به لسان)

قال ابن الخشاب

انما يقال فهت بكذا ومافهت به ولا يقال فاه به لسانى

وانما استعماله استعمال نطق به لساني ويفهم في الاستعمال فرقان بين .

قال ابن بري

ذكر ابن القطاع فاه بالقول فوها نطق به واللسان يستعمل في النطق يقال نطق به لساني ونطق به لسان الحال .

المقامة الحادية والعشرون

قال فيها (فلما حللت بالري . وقد حللت حبي الغي . وعرفت الحي من اللي)

(قال ابن الخشاب)

قد نص اهل اللغة على ان قولهم فلان لا يعرف الحي من اللي وما جرى مجراه من قولهم لا يعرف هرا من بر من الالفاظ التي لا تستعمل الا في الجحد ولا يجوز ان تستعمل في الايجاب فكما لو قال هو يعرف الهر من البر لم يجز وكذلك عرفت الحي من اللي مشهور في كتب اللغويين قد ذكره ابن السكيت في كتابيه الالفاظ والاصلاح وذكره ابو عبيد في الامثال وغيره ونظير هذا الباب باب احد وعريب

وكتيع ودبى وطورى وطوئى ووابش ووابر وديار ونومرى وتدمرى وماجرى مجراها لايستعمل الافى النفى واخراجها الى الايجاب خطأ وترك لاستعمالهم ومعنى الحى من اللى الحق من الباطل ومنه قولهم هو لايعرف الحى من اللى قال الازهرى وكذلك لايعرف الحو من اللو .

(قال ابن برى)

كلام ابن الحربرى صحيح لانه اراد معرفة التفسير لهاتين اللفظتين وهما الحى واللى والحى الكلام الظاهر واللى الكلام الخفى اى عرف بين الكلام من خفيه من قولهم مايعرف الحى من اللى وكذلك لو قيل فلان يعرف الهر من البر يعنى انه يعرف تفسير هما كان جائزاً الاترى انه اذا قال قائل والله مايعرف فلان الحى من اللى ولاالهر من البر ولاالقبيل من الدبير فاردت تكذيبه قلت والله انه ليعرف الحى من اللى ويعرف الهر من البر ويعرف القبيل من الدبير اى يعرف معانى هذه الالفاظ المستعملة فى النفى .

وفيها فى آخرها : (ولادرى اى الجراد عاره)

﴿ قال ابن الخشاب ﴾

العرب لاتستعمل هذا المثل الافى المستقبل مادرى اى الجراد يعاره ولايستعمل الماضى منه كما تقول ماطت الابل وماسقت عينى الماء لايستعملون فى هذا المستقبل فرب كلام هكذا لهم موقوف على طريقة واحدة لايجوز تعديها ولا القياس عليها غير مصيب .

(قال ابن برى)

قول الجريرى صحيح والذى قاله ابن الخشاب من انه لايستعمل هذا المثل الافى المستقبل فيقال مادرى اى الجراد يعاره ولايستعمل فى الماضى منه قول غير معروف عند احد من اهل اللغة بل الامر بالعكس من ذلك عندهم لانه لايستعمل هذا المثل الافى الماضى دون المستقبل ولهذا قال الازهرى ان مستقبل عاره فى هذا المثل قد اميت فلا يستعمل وقوله ان المضارع منه يعاره غلط فاحش وانما مضارع عاره يعوره و يعيره ايضاً اذا اخذه واما يعار فانما هو مضارع عار الظليم يعار اذا صوت .

وفيها : (ثم انشد انشاد وجل بصوت زجل)

قال ابن الخطاب

وهذا لا يستعمل ردىء لان الوجل بعيد من ان يصحبه زجل.

(قال ابن برى)

الانكار على من وقف موقف وعظ وانذار ومخوفاً من عقاب الجبار ان يرفع صوته بانذاره مع شدة خوفه ووجله كما يشاهد من ركاب السفينة اذا اشرفت على الغرق ولا شيء اخوف منهم ولا اوجل لخوفهم على انفسهم من الغرق والتلف فهم يضجون ويجأرون الى الله بالدعاء وغيره والجؤار رفع الصوت في الدعاء ومنه الحديث انظر الى موسى وله جؤار الى ربه بالتلبية اى انظر اليه رافعاً صوته بالتلبية فثبت انه ليس الخوف والوجل مما يباين رفع الصوت وانما يباينه سقوط القوة او مرض في آلة الصوت الا ترى ان المرأة الحامل اذا اصابها الطلق يضرب بها المثل في ارتفاع صرختها وان كانت خائفة وجلة على نفسها وولدها وذلك في نحو قولهم :

كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها

والقبيل هنا القابلة واذا اسلمت الحامل قابلتها كان اشد لخوفها ووجلها فاذا تطاول بها الطلق وسقطت قوتها قل ارتفاع صوتها .

وفيه : (يخلبه الاشفى يغول وثابه)

قال ابن الخشاب

الشغا لايكاد يستعمل فى المخلب والاستعمال الصحيح فى الشغا وهو اختلاف النبتة انما يكون فى الاسنان واستعماله فى منسر العقاب لطول الاعلى على الاسفل وانعطافه فهما مختلفان الان هذا الاستعمال اسهل من قوله « على النقيصة والشغا » لانه توهم ان الشغا زيادة فاستعمله استعمالها البتة وللغة اوضاع مخصوصة فى الاستعمال اذا اخرجت عنها لم تكن عربية .

[لم يذكر ابن برى على هذا شيئاً]

وقال فيها : (حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول)

قال ابن الخشاب

استعارة الفريضة والعول هاهنا غير مستحسن اذا حقق معنى العول لانه زيادة على الاصل كمسألة اصلها من ستة عالت الى سبعة او ثمانية وذلك مشهور عند الفرضيين الان يريد به الخروج عن الاصل والزيادة فى الوقت و هو لعمر الله بارد فى التاويل .

(قال ابن برى)

انكاره القول فى الفريضة لامعنى له لانه ذهب الى ان العول الزيادة على الاصل وهو فى الموضع زيادة على الاصل لان صلاة الجمعة ركعتان فاذا فاتت وقتها صارت اربعا الان صلاة الظهر اربع فقد عالت الفريضة من ركعتين الى اربع فقد صار العول زيادة على الاصل وهذا اصله فى الفرائض وهو من احسن الاستعارات وقول ابن الخشاب ان ابن الحريرى يريد به الخروج عن الاصل والزيادة فى الوقت غلط منه لانه لم يرد بالعول الا زيادة الفريضة ركعتين على الركعتين اللتين هما فرض الجمعة ولم يرد بالعول زيادة الوقت وانما زيادة الوقت هى التى اعالت الفريضة وقول ابن الخشاب فى آخر كلامه فى هذا الفصل «وهو لعمر الله بارد فى التأويل» البارد فى تأويل العول عنا قول من جعله الزيادة فى الوقت وظن ان ابن الحريرى اراده وذلك بئس الظن .

وفيها : (فان الدولة ريح قلب)

قال ابن الخشاب

قال ذلك لاجل قوله «والقدرة برق خلب» ولا توصف

الريح بقلب وان كانت تتذأب وتختلف وجوهها وانما يستعمل فى صفة ذى الحيلة والتصرف فى الامور وقال معاوية لابنه عند موته (انك لتقلبين حولاً قلباً ان وقى هول المطلع)

[ولم يقل ابن برى هنا شيئاً]

وفيها : (فاعتقبته اخطو متقاصراً . واريه لمحاً باصراً)

قال ابن الخشاب

هذا استعمال من لا يعلم حقيقة معنى قولهم اراه لمحاً باصراً لان مراده اتقاصر لئلا يرانى فى اتباعى اياه واتأمله مع ذلك تأملاً شديداً كيلا يفوت بصرى وهذا المعنى لا يؤديه قوله اريه لمحاً باصراً لان قولهم اراه لمحاً باصراً اى نظراً بتحديق شديد .

(قال ابن برى)

كلام ابن الحريرى صحيح لانه اراد انى اخطو خلفه متقاصراً واتبعه نظراً بتحديق لئلا اضل عنه بتقاصر خطوى فيفوتنى فالمتقاصر على هذا اشد تحديقاً من غير المتقاصر .

المقامة الثالثة والعشرون

قال فيها : ﴿ حين يرتوى منى و يلتقح ﴾

قال ابن الخشاب

لا يستعمل التقح فى معنى قبل للقاح والمعروف فى القحها ولقحها لقحت هى ومنه اللاقح واللواقح والملتقح غير معروف .

[لم يوجد لابن برى عنها جواباً]

المقامة السادسة والعشرون

قال فيها : ﴿ فتعارفنا حينئذٍ وحفت بى فرحتان ساعتئذٍ ﴾

قال ابن الخشاب

السجعتان واحدة لان اذ فيهما كلمة واحدة فلافرق بين اضافة الحين والساعة والليلة واليوم وغيرذلك مما تحسن اضافته من اسماء الازمنة اليها ولامعنى لجعلها قرينة الا على ماتأول انها صارت مع قبلها كاللفظة الواحدة .

[لم يجب ابن برى بشئ عنها]

المقامة السابعة والعشرون

قال فيها : ﴿ وكان يوماً اطول من ظل القناة . واحر من دمع المقلاة ﴾

(قال ابن الخشاب)

لامبالغة فى المثلين فى مثل هذا الموضع وان كانت العرب قد ضربت بهما المثل فى الطول والحرارة قال :

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

ولكن الرمح الطول من القناة على كل حال لان الرمح قناة مع سنان ايضاً واما دمع المقلاة وهى التى لا يعيش لها ولد فلم يبلغ من حرارة دمعها مايقاوم به الهجير المحتدم .

(قال ابن برى)

لم يرد ابن الحريرى ان دمع المقلاة شديد الحرارة على الجسد كشدة حرارة الهجير وانما اراد شدته فى اعين البواكى خاصة لان حرارته مذيبة للاعين ايضاً والمحرقة للاجساد فحرارة الهجير عامة فى الجسد والعين وحرارة الدمع مخصوصة بالعين لاغير فهو فى اذاها كاذى الهجير لها .

المقامة التاسعة والعشرون

فيها قطعة شعر اولها :

يا صارفاً عني المودة والزمان له صروف

قال ابن الخشاب

هي مقيدة فيها ابيان لو اطلقت كانت منصوباً ومرفوعاً ومجروراً وهو غير جائز .

(قال ابن برى)

الذى ذكره ابن الحريرى صحيح ولا يلزمه ان يكون اعراب المقيد كاعرابه لو اطلق الا ترى الى قول امرئ القيس :

اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة معتقة مما يجيء به التجر

ثم قال بعده :

جأت بريح من القطر

فالتجر فى موضع رفع والقطر فى موضع جر . وقال طرفة :

ومن الحب جنون مستعر

ثم قال بعده :

ليس هذا منك ماوى بحر

فمستعر فى موضع رفع وحر فى موضع خفض . وقال الاعشى :

انكر غانية ان تلم ام الحبل واه بها منجذم

فجذه فى موضع رفع، ثم قال بعد هذا :

و نظارة عين على غرة محل الخليط بصحراء ذم

فذم فى موضع جر وهى اسم بئر. وهذا النحو فى اشعارهم كثير جداً .

المقامة الثانية والثلاثون

فيها: (قال فان افطر فيه العراة قال لا تنكر عليهم الولاة)

[العراة الذين تأخذهم العرواء وهى الحمى برعدة]

(قال ابن الخشاب)

عرى الرجل فهو معرور والجمع معرون فاما عراة فهو جمع فاعل فى المعتل عار وعراة كغاز و غزاة وحام وحماة والباب فى اللفظة التى ذكرها لمفعول لا لفاعل .

[لم يذكر ابن برى هنا شيئاً]

وفيها : (ايجب على الحاج استصحاب القارب قال نعم ليسوقهم الى المشارب) [قال الحاج اسم الجمع والقارب طالب الماء بالليل]

قال ابن الخشاب

ليس القارب كما فسره و تفسيره الصحيح لا يعطى

مراده الذى استعمله فيه والذى ذكره قد حكاه ابو عبيد وليس بشئ .

(قال بن برى)

الذى ذكره ابن الحريرى هو الذى ذكره الخليل على ماحكاه عنه الجوهرى قال التقارب الطالب الماء ليلاً ولايقال ذلك نهاراً وزعم ابن الخشاب ان هذا ليس هو تفسيره الصحيح و كان ينبغى له ان يذكر تفسيره الصحيح ليتبين غلط ابن الحريرى .

و فيها : (فان عثر على انه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل) [قال غربل اى قتل]

(قال ابن الخشاب)

الغربلة استطراع قال :

ترى الملوك حوله مغربله

ووضعه الجواب على رد قبول الشهادة هذا غير صحيح لانه يجوز ان يغربل مجاهداً ويجوز ان يقتل متلصاً ومقتاباً حداً فلاتسقط عدالته بذلك .

قال ابن برى

فى تهذيب الافعال لابن القطاع الغربله القطع وحكى الجوهرى عن ابى عبيد المغربل المقتول المنتفخ وانشد:

ترى الملوك حوله مغربله يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

وفيها : (قال فان سرق اساود الدار قال يقطع اذا ساوى ربع دينار) [قال الاساود الآلات المستعملة كالاجانة والقدر والجفنة]

قال ابن الخشاب

فى الاسودة كما قدمت فى الخامسة فى قوله فاحضرنا الدواة واساودها وانها جمع سوأد ولو سمع جمع اسودة فى هذا على اساود فيكون كاسقية واساق لم يمتنع الا انه يفتقر الى سماع لان جمع الجمع لا يقاس وفى الحديث فاذا اسودة يعنى بها الآلات . قال الازهرى يقال : سواد واسودة ثم اساود جمع الجمع فهو مسموع اذاً .

(قال ابن برى)

قول ابن الخشاب ان اساود فى جمع اسودة يفتقر الى سماع

دليل على انه لم يثربه وقد ذكره ابن الاعرابى وغيره قال الجوهرى السواد الشخص والجمع اسودة ثم اساود جمع الجمع وانشد الاعشى :

تناهيتم عنا وقد كان فيكم اساود صرعى لم يؤسد قتيلها

يعنى الاساود شخوص القتلى انقضى كلام الجوهرى وحكى الهروى فى حديث سليمان وهذه الاساود حولى اراد الشخوص من المتاع وكل شخص سواد من انسان او متاع اوغيره وحكى عن ابن الاعرابى ان سواداً يجمع اسودة ثم يجمع اسودة على اساود فهذا نص على انه مسموع .

المقامة الثالثة والثلاثون

قال فيها : ﴿ عاهدت الله مذ يفعت ﴾

قال ابن الخشاب

المعروف ايفعت يقال يفع الغلام فهو يافع وابقل المكان فهو باقل واورس بالرمث فهو وارس واعشب البلد فهو عاشب وجعل اهل اللغة خروج اسم الفاعل فى هذه الالفاظ على غير فعله نادراً حكاه ابن السكيت وغيره .

قال ابن برى

يفعت لغة فى ايفعت حكى ذلك ابن القطاع فى ابنية الافعال

وابن طريف وابن القوطية وكذلك حكوا بقل المكان وابقل ووبس الرمث واوبس والاكثر ابقع وابقل واوبس واذا ثبت سماع الكلمة عن العرب لم يكن لمن انكرها عذر وانما اختارها ابن الحريرى هنا لتوافق ما يعقب مذ بضمت سجعتها وهى ما استطاعت فى وزنها فضرورة السجع حملته على استعمال اقل اللغتين .

وفيها : (فهضت اسلك منهاجه . واقفو ادراجه)

قال ابن الخشاب

يقال رجع فلان ادراجه اذا رجع على الطريق الذى جاء منه فاما سرت فى ادراجه وقفوت ادراج فلان فليس من مستعمل كلامهم .

(قال ابن برى)

الدرج الطريق يقال فى المثل حل درج الضب اى طريقه الذى يدرج فيه ومنه قولهم هو منى درج السبيل وكذلك ادراج السيول وادراج الرياح لطرقها وليس الدرج بمنزلة القهقرى فى نحو قولك مشى القهقرى واعتمد فى سيره القهقرى ورجع القهقرى فاما الدرج فليس بمعنى القهقرى

الاترى ان السيل لايسير القهقرى وانما فهم من قولهم رجع ادراجه انه رجع فى الطريق الذى جاء منه من جهة رجع لامن جهة الدرج ولوكان الدرج بمعنى القهقرى لم يصح ان يقال درج السيل لان السيل لايسير القهقرى وايضاً فان القهقرى مصدر لامكان فيصح هذا المعنى فى المصادر لافى الامكنة ولوكانت الادراج لاستعمل الامع رجع لكان الامر كماذهب اليه هذا القائل ولكن قولهم حل درج الضب وهو منى درج السيل يبطل ماذكره ويثبت ان الدرج اسم لكل طريق يدرج فيه فعلى هذا لاينكر قفوت ادراجه اى طريقه .

المقامة الخامسة والثلاثون

قال فيها: (اذا احتف بك ذو طمرين . قد كادينا هز العودين)

قال ابن الخشاب

بئس الاستعمال استعمال كاد مع ينا هز لان المناهزة معنا ها المقاربة ناهز فلان الخمسين اذا قاربها وكاد معنا ها المقاربة ايضاً فهما وان اختلفا فى الاستعمال يتفقان فى معنى المقاربة فكأنه اذا حقق معنى قوله آل الى ان تقدير هذا الكلام قارب

مقاربة العمرين وهذا لايخفى اختلاله لمتأمل .

[لم يذكر ابن برى هنا شيئاً]

وفيها : (فتأملت الشيخ على سهومة محياه . وسهوكة رياه . فاذا هو اياه)

قال ابن الخشاب

العجب لابى محمد وهو بصرى ان يستعمل ماقد اجمع عليه نحاة بلدته على انه لحن سيما رئيسهم سيبويه و هذه هى المسئلة المشهورة التى قد جرت بين سيبويه والكسائى حين قدم سيبويه بغداد فى مجلس يحيى بن خالد البرمكى و ابى سيبويه: كنت اظن العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو اياها. وقال لايجوز الا فاذا هو هى واجازها الكسائى. وهى لحن لا محالة وقد ذكر القصة وبسطها ابو القاسم الزجاجى.

(قال ابن برى)

ذكر ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجى ان

ابازيد الانصارى حكى عن العرب: كنت اظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو اياها. قال ابو القاسم الزجاجى فاما ان يكون سيبويه بلغته هذه اللغة ولم يقبلها ولاعرج عليها لشذوذها واما ان تكون لم تبلغه فانكرها فقد ثبت بهذا صحتها عن عالم من اجل علماء البصرة وهو ابو زيد الانصارى وهو من جملة من اخذ عنه سيبويه فلا انكار على ابن الحريرى اذاً ان يوافق احد علماء بلده فى صحة سماعها وان كانت شاذةً فى قياس العربية .

و فيها فى آخرها: ﴿ثم ودعنى وانطلق. وزودنى نظرة من ذى علق﴾

قال ابن الخشاب

هذا يعطى خلاف المقصود لان قولهم نظرة من ذى علق فسره اللغويون فقالوا نظرة من ذى هوىً قد علق بمن يهواه قلبه قال الاصمعى. نظرة من ذى علق يضرب للرجل يرى الشئ يحبه فيجترئ من معرفته بالقليل .

(قال ابن برى)

المعنى الذى اراده ابن الحريرى صحيح لانه اراد انه

اودع قلبي حرقاً لم تكن فيه وذلك بسبب مفارقته وزوده نظرةً من ذى هوىً وعشقٍ فصار عاشقاً بعدان لم يكن كذلك و سبب ذلك مفارقته التى اوجبت له ان صار ذا نظرة من ذى هوىً لمن فارقه ولوكان المعنى على ماقاله ابن الخشاب لكان الصواب ان يقول وزودته نظرةً من ذى هوى ولم يقل وزودنى و مثل هذا لايخفى على ابن الحريرى .

المقامة السادسة والثلاثون

قال فيها : (انخت بملطية مطية البين)

قال ابن الخشاب

الصواب بملطية مخففة و كذا استعمل و هو معرب والذى استعمله ابن الحريرى بالتشديد هو المتعارف بين العامة .

(قال ابن برى)

ملطية اسم اعجمى والاسماء الاعجمية كثيراً ما تغيرها العرب الاترى الى نحو جبرئيل و ابراهيم فيها عدة لغات وكذلك بغدادوالمشهور فى هذه البلدة على استعمال الناس ملطية بتشديد الياء وكسر الطاء وانما اثبت ابن الخشاب انها

ملطية بتخفيف الياء وانكان الطاء اتباعاً للمتنبي فى قوله :

ماطية ام لبنين تكون

وليس فى استعماله لها على التخفيف قاطع على ان هذا هو الاصل فى اسم البلدة لاحتماله ان يكون خففها للضرورة ويكون ما عليه الناس فى الاستعمال هو الصحيح .

وفيها وقد وصف الاجية واخذ يحددها: ﴿ ان وضع الاجية لامتحان الالمعية واستخراج الخبية الخفية وشرطها ان تكون ذات مماثلة حقيقية والفاظ معنوية ولطيفة ادبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط ﴾

قال ابن الخشاب

فيها اجية صورتها : « خذ تلك قال مثلها هاتيك » وهى باردة لاتشبه الاجى المشروطة .

[لم يذكر ابن برى هنا شيئاً]

و فيها فى آخرها : ﴿ واما صفير حجفلة فمثله مكاشفة ﴾ [لان المكاء الصفير قال الله تعالى «وما كان صلاتهم عند البيت

الا مكاءً وتصديه، والاصل فى المكاء المد ولكنه قصره فى فى هذه الاجية كما حذف همزة القراء فى اجيته وكلا الامرين من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائز]

قال ابن الخشاب

ليس الامر على ماقال انما يجوز قصر الممدود فى ضرورة الشعر وحذف الهمزة لايطرد انما يكون فى مواضع مخصوصة بصفة مخصوصة .

قال ابن برى

هذه الكلمات التى كل كلمة منها من كلمتين لمغيرين يسامح قائلها بان يقصر فيها الممدود ونحو ذلك كضرورات الشعر لعزتها وصعوبة استنباطها .

المقامة السابعة والثلاثون

قال فى آخرهـا : ﴿ فسقط الفتى فى يده . ولا ذبحتو والده ﴾

﴿ قال ابن الخشاب ﴾

اخطأ فى قوله سقط الفتى فى يده ولم يعلم حقيقة هذا

الكلام كيف تستعمله العرب وبيانه انه يقال سقط الفتى في يد فلان اذا ندم ولا يقال سقط فلان في يده قال الله تعالى «ولما سقط في ايديهم» ولم يقل سقطوا في ايديهم وهو كلام جار مجرى المثل وفاعل سقط مضمر لا يظهر معناه الندم فكانه والله اعلم سقط الندم في يد فلان وليس المعنى سقط فلان في يد نفسه هذا محال لا يجوز الحمل عليه ولا يعطيه لفظ هذا الكلام ولا معناه وهذا الغلط من فاحش غلط ابن الحريري في مقاماته ويدل عليه دلالة قاطعة قوله جل وعز «ورأوا انهم قد ضلوا» اي في الثاني وهو ضلوا ضمير المذكورين في اول الآيات ولم يأت به في الاول وقد سقط لان فاعله غيرهم وهو ضمير الندم على ما بين اهل العربية وهو الصواب والله اعلم.

(قال ابن برى)

قول ابن الخشاب ان في سقط من قولهم سقط في يده وفي قوله تعالى «سقط في ايديهم» ضمير لا يظهر معناه الندم غلط منه سقط غير متعمد انما ذلك في قرأة من قرأ سقط في ايديهم وهي قرأة حكاها الاخفش وقال التقدير ولما سقط الندم في ايديهم واذا ثبت ان الندم فاعل لسقط لم يجز ان يكون مرفوعا بسقط لان الفاعل لا يكون مفعولا لم يسم فاعله وانما

يكون غيره وهو قوله في ايديهم وكذلك قوله سقط في يده الجار والمجرور في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله وظاهر كلام ابن الخشاب يقضي ان القرأة المشهورة ولما سقط في ايديهم بفتح السين وذلك غلط لان القراء كلهم مجمعون على سقط بضم السين وكسر القاف وهو من الافعال المبنية لما لم يسم فاعله مثل جن وزكم ولم يقرأ احد سقط في ايديهم الا ابو السميفع في الشواذ من القراآت وذلك غير معروف عند اهل اللغة وكذلك ذكره ابن الحريري «فسقط الفتى في يده ولا ذ بحقو والده» ولم يرو احد عنه فسقط الفتى بفتح السين ولا يصح كلام ابن الخشاب الاعلى سقط بفتح السين ولا خلاف ماروى عن ابن الحريري في مقاماته الا ابن الحريري غلط بذكر الفتى وصوابه فسقط في يده من غير ذكر الفتى او يقول فاذا الفتى سقط في يده ولا يكون في سقط ضمير الفتى لانه فعل غير متعد فالجار والمجرور في موضع مفعول به فان قال قائل: فلعل هذا من غلط الكاتب على ابن الخشاب لان مثل هذا لا يخفى عليه اعني القرأة المجمع عليها «ولما سقط في ايديهم» على ما لم يسم فاعله. قيل: كلام ابن الخشاب يقضي بانه انما قال سقط بفتح السين الاثراه قال وفاعل سقط مضمر لا يظهر معناه الندم ثم قال بعد هذا: ويدل عليه دلالة قاطعة اي على

ان الندم مضمر فى سقط قوله جل وعز «ورأوا انهم قد ضلوا» وهو ضمير المذكورين فى أول الآية وذيلت به فى الاول وهو سقط لان فاعله غيرهم وهو ضمير الندم على ما بين اهل العربية وهو الصواب (انتقضى كلام ابن الخشاب) وقد ثبت ان القرأة ولما سقط بفتح السين وان الفاعل لم يظهر فى سقط كما ظهر فى ضلوا لكن يكون فاعل سقط غير فاعل ضلوا وهو الندم فقد ثبت بهذا غلطه فى القرأة. قال ابن برى: اللهم الا ان يكون الناقل عنه قد غير الكلام عليه وان الذى قال ان سقط فى يده فعل مبنى للمفعول وكان الفعل قبل ان يبنى للمفعول سقط فى يده اى سقط الندم فى يده ثم حذف الفاعل واقيم الجار والمجرور مقامه والدليل على صحة قرأة من قرأ ولما سقط فى ايديهم فحينئذ يكون الكلام مستقيماً والرد صحيحاً.

المقامة الثامنة والثلاثون

قال فيها: (ولا اجد عنه مخبراً. ولا ارى له اثراً ولا عثيراً)

قال ابن الخشاب

كذا تأدى عنه عثير بتقديم الثاء المعجمة بثلاث من فوق وكسر العين ولا وجه لاستعماله هنا لان العثير الغبار

وانما المستعمل مع الاثر العثر بتقديم الياء وفتح الثين على وزن فيعل كجيدر وحيدر ولاهل اللغة فى اللفظتين كلام اذكره بحكايته ان شاء الله تعالى .

قال ابن برى

هذا الذى ذكره ابن الخشاب هو مذهب يعقوب بن السكيت واتبعه ابن فارس وقال الخزاز فى كتابه « جامع لغة العرب » تقول مارأيت له أثرا ولاعثيرا والعثير الاثر الخفى ويقال اتباع وحكى ابو الحسين بن فارس انه يقال مارايت له اثرا ولاعثيراً بتقديم الياء على الثاء فقد بان لك بهذا صحة ماقاله ابن الحريرى لكونهما مستعملين وانها مسئلة خلاف لااجماع .

المقامة التاسعة والثلاثون

قال فيها : (لهجت مذاخضرازارى . ويقل عذارى)

قال ابن الخشاب

اراد بالازار العانة قلت وهو بعيد .

(قال ابن برى)

هذا الذى ذكره ابن الحريرى ليس ببعيد لان الازار

قديسمى حقواً لانه يشد على الحقو وهو معقد الازار والازار والعانة داخلة فى الحقو ومنه الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم اعطى النساء اللواتى غسلن ابنته حقوه اى ازاره وقال اشعرنها اياه والعرب تكنى بطيب الازار عن عفة الفرج لانه عليه يعقد وعليه قول الخرنق :

والطيبون معاقد الازر

وكذلك يكنون بطاهر الجيب عن القلب السالم من الغش لان الجيب يكون على القلب .

و فيها : ﴿ فنقلت اليه اساودى ﴾

قال ابن الخشاب

استعمل الاساود فى الآلات على عادته و قد بينت انها الاسودة و قد جمعت على اسودات

[جواب ابن برى عن هذا قد تقدم]

و فيها : ﴿ فاقبلنا نجوس خلالها . ونتقياً ظلالها ﴾

قال ابن الخشاب

ليس هذا موضع استعمال هذا الكلام لانه ذكر انهما

اعنى الحارث وابازيد صعدا الى الجزيرة مرتادين قوتا لا قواتهما من الزاد مع ماذكر من ضعف مريرتهما وانهما لايهتديان سبيلا و قوله جل و عز «فجاسوا خلال الديار» معناه فيما فسر والله اعلم اكثروا القتل خلال الديار فاى موضع لاستعمال هذا الكلام هاهنا سيما مع قوله «نتقياء ظلالها» وانما غرض النظم فقط بالخلال و الظلال فاما الجوس وذكره فى القرينة الاولى فمفسد عليه استعماله فى المعنى الذى اراده من الضلال وعدم الاهتداء مع ضعفهما لعدم القوت وهذا ظاهر .

(قال ابن برى)

ذكر الجوهرى ان الجوس مصدر جاسوا خلال الديار اى تخللوها وطلبوا مافيها كما يجوس الرجل الاخبار اى يطلبها فعلى هذا يصح قول الحريرى و حكى الهروى فى كتابه الغريبين عن الازهرى ان معنى جاسوا و طؤا وحكى عن الاصمعى انه يقال تركت فلانا يجوس بنى فلان ويجوسهم ويدوسهم اى يطأهم و قال ابو عبيد كل موضع خالطته ووطئته فقد جسته .

المقامة الاربعون

قال فى النظم :

مافيه من عيب سوى انه قسمته يوم الندى ضيزا

قال ابن الخشاب

نصف البيت الاول بعينه اختطفه من قطعة فى كتاب «انس الوحدة» لابى الحسن محمد بن عمر بن ابراهيم بن عمرو الذهبى البصرى اولها :

ان ابا ايوب فى فعله
مؤيد بالحجج البالغه
مافيه من عيب سوى انه
يد هن من قارورة فارغه
لو غيره اخلفنى موعداً
انته منى عقرب لادغه
لايقدر الاعشى على نقضها
ولا امرؤ القيس ولا النابغه

وكان ابو القاسم بن الحسين يروى هذا الكتاب عن ابى القاسم بن الحسين بن محمد بن كبارى المقرى عن ابى الحسن الذهبى المصنف قال انشدنى على بن احمد المالكى فيمن تكثر مواعيده .

[لم يقل ابن برى على هذا شيئاً]

المقامة الثانية والاربعون

قال فيها : (ثم انه اختبن خلاصة النض . وندرضار باً فى الارض)

قال ابن الخشاب

ظن ان الخلاصة خالص الشئ وكذلك ربما ظنت العامة وليس الامر على ذاك لان الخلاصة مايلقى من الشئ يسقط عند التخليص وعلى ذاك بناء الفعالة كالنحاتة لما سقط من النحت والبراية لما سقط من البرى وكذلك النخالة والكساحة والقمامة والحمامة والكناسة والنجارة والقوارة وامثلته كثيرة جداً والخلاصة ايضاً مايلقى من السمن اذا ارتجن ليصفو مثل بعرة اوسويق اوتمرة ومايجرى مجرى ذلك يجتمع اليه وسخه ليلقى وهو الأثر وذلك معروف عند اللغويين فهو مخطئ فى هذا الاستعمال على كل حال .

قال ابن برى

قول ابن الحريرى صحيح لان لفظة الخلاصة لفظة مختلف فيها من جهة المعنى فذهبت طائفة الى ماذهب اليه ابن الحريرى وذهبت طائفة الى ماذهب اليه ابن الخشاب قال الجوهرى

خلاصة السمن ماخلص منه لانهم اذا طبخوا الزبد ليتخذوه سمناً طرحوا فيه شيئاً من سويق اوتمر او ابعار غزلان فاذا جاد وخلص من الثفل فذلك السمن هو الخلاصة هذا آخر كلام الجوهري. والشاهد بصحته ماقاله الجوهري انه يقال في الخلاصة الخلاص ايضاً والخلاص ماخلص من الذهب والفضة بعد السبك وقال الهروي في حديث سليمان انه كاتب اهله على اربعين اوقية خلاص الخلاص ما اخلصته النار من الذهب وكذلك الخلاصة فجعل الخلاص والخلاصة بمعنى واحد وذكر الفارابي في كتابه المعروف «بديوان الادب» الخلاصة ماخلص من السمن واذا ثبت صحة ذلك لم يكن لتغليط ابن الحريري وجه اذ كان قوله موافقاً لاقوال اهل اللغة الحذاق وكون ابن الخشاب قطع عليه بالغلط دليل على انه لم يعلم فيه خلافاً اوعلمه فلم يذكره ليصح قوله والله اعلم.

وفيها: ﴿ الى ان طال الامد. وحصحص الكمد ﴾

﴿ قال ابن الخشاب ﴾

استعمال الحصحصة مع غير لفظة الحق ولا يكاد يستعمل ذلك لو قال قائل حصحص الباطل او حصحص الشر

وغير ذلك لكان بعيداً من استعمالهم .

قال ابن برى

قول ابن الخشاب ان الحصحصة انما تكون مع لفظة الحق قول تفرد به و انما حمله على ارتكابه ماجاء فى كتاب الله العزيز من قوله «الآن حصحص الحق» وليس الامر كما ظن لان الذى عليه اهل اللغة حصحص الشئ بمعنى ظهر ووضح ولم يخصوا به حقاً ولاغيره وقال الخليل الحصحصة الحركة فى الشئ حتى يستقر فيه ويتمكن و يقوى قوله فى ذلك قول حميد يصف جملاً :

وحصحص فى صم الحصا ثفناته ورام القيام ساعة ثم صمما

المقامة الثالثة والاربعون

قال فيها: (والمريخ قدازدمل بجاده)

(قال ابن الخشاب)

كذا وقع فى النسخة المقروة على بجاده بالنون ولاوجه للازدمال بجاد السيف لانه لايعم المتغطى المتلفف عموم الثوب فان كان قال بجاده اى بكسائه فهو وجه.

(قال ابن برى)

الرواية بجاده لاغير والذى ذكره ابن الخشاب بجاده

بالنون غلط منه اومن النسخة التى قرأها .

المقامة الرابعة والاربعون

قال فيها: (الى بيت عشاره تخوروا عشاره تفور)

قال ابن الخشاب

نظر الى التجنيس بين اعشار واعشار فاساء الاستعمال اذ الاعشار فى قول العرب برمة اعشار وقدح اعشار اذا كان قطعاً ولم يسمع للاعشار بواحد ولعله ظن الاعشار البرمة الواحدة وهو مع ذلك عدة قطع وهو ما وصف فيه الواحد بالجمع وهذا لكون الواحد عدة قطع فهو كالجمع ومثله جبل ارمام واقطاع وارماث وقد فسره ابن الحريرى فى آخر هذه المقامة فقال «والاعشار البرمة العظيمة كانها شعبت لعظمها فقالوا برمة اعشار وثوب اسمال» وليس الامر كما قال لانها يجوز ان تكون عظيمة وغير عظيمة والمراد بها المشعبة .

قال ابن برى

قول ابن الخشاب ولعله ظن ان اعشاراً جماعة غير صحيح لان ابن الحريرى قد فسر الاعشار بانها البرمة العظيمة وكذا قال القزاز فى كتابه « جامع اللغة » ان الاعشار القدر العظيمة

وهذا يصحح قوله ايضاً فى انها القدر الكبيرة دون الصغيرة وانما غلط ابن الخشاب فى جعله تاء التأنيث فى قوله تفور تأنيث الجمع لما قرن بين قوله عشاره تخور واعشاره تفور وظن ان اللفظتين للجماعة وان التأنيث فيها تأنيث الجماعة وليس الامر كذلك بل التأنيث فى قوله تفور لتأنيث القدر الواحدة دون الجماعة وكما انك تقول قدر تفور فكذلك تقول اعشارا تفور لان الاعشار هى القدر الواحدة الكبيرة وهى مؤنثة ووصفت بالجمع كما وصف الثوب بالجمع فى قولهم ثوب اسمال وبهذا حصل له التجنيس بين قوله اعشاره وعشاره لتكون عشاره جمعاً ويكون اعشار جمعاً وصف به الواحد فيكون التأنيث فى تخور تأنيث الجماعة وفى تفور تأنيث الواحدة ولا يمتنع ان يكون اراد بها الجماعة لانه قد يوقع الواحد موقع الجماعة كقوله جل وعز «وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة» اراد وعلى اسماعهم وكذلك قول الشاعر :

فى حلقكم عظم وقد شجينا

اراد فى حلوقكم وقوله تعالى «او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء» وقوله تعالى «ثم استوى الى السماء فسواهن»

المقامة السادسة والاربعون

قال فيها :

اذا الفعل يوماً غم عنك مجاؤه فالحق به تاء الخطاب ولا تقف
فان ترقبل التاء ياءٌ فكتبه بياءٍ والافهو يكتب بالالف
ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف

قال ابن الخشاب

امر ما يكتب بالياء او الالف من الافعال التي اعتلت او آخرها ظاهر بما اشار اليه اهل العربية وقد خلطه ابن الحريري بنظمه وزاده اشكالا منها قوله في الاول مما عقد مجاء الافعال التي آخرها حرف اعتلال فقوله الافعال مطلقاً غير محقق لان هذا الفرق الذي اراده انما هو مختص بالافعال الماضية خاصة وقوله :

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف

فيه ايضاً تخليط لان الثلاثي من الافعال خاصة يفرق فيه بين ذوات الواو والياء على رأي من فرق فيقع الاعتبار بالرد الى الضمير وهو التاء في آخره فان كان قبل التاء ياء علم ان الفعل من ذوات الياء فكتب بالياء وجاز كتبه بالالف على اللفظ وان كان قبل التاء واو كتب بالالف على لفظه واما ما تعدى الثلاثي اي ما كان على اربعة احرف فصاعداً فانه لا يختلف لان ذوات الواو فيه ترجع الى ذوات الياء فتستوي لفظ الجميع الا ترى انك تفرق بين غزى ورمى ما داما ثلاثيين

فيكتب رمى وغزا هذا بالياء وهذا بالالف فاذا كتبت ارمى واغزى كتبتهما جميعاً بالياء لانك تقول ارميت واغزيت وكذا استغزى واستسمى يستويان فى الكتب بالياء لقولك استسميت واستغزيت والمهموز ايضاً لايحتاج فيه الى نظر لانه لايختلف كقولك سلاء ونشاء وهناء و سراء لايختلف فلاوجه لخلط الابواب الثلاثة التى جمعها فى الباب الاخير فانه زاد الباب اشكالاً بقوله فى ذاك يختلف فان ذاك اشارة الى الاعتبار بالرد الى الضمير والفرق من بعد فيظن طالب الفرق ان هذا الفرق مستمر فى الابواب الثلاثة ومازاد على الثلاثى والمهموز يقع وان كما يقع الثلاثى وقد بينا انهما لايختلفان المهموز كله يكتب بالالف ومازاد على بنات الثلاثة كله يكتب بالياء واقول ايضاً ان هذا الفرق فى الثلاثى شئ لم يكن يعرف فى الدهر القديم وانما احدثه قوم من النحاة تكسبا مع الكتاب ليحتاجوا اليهم فيه ويقال ان الباب رسمه ابو الحسن سعيد بن مسعد الاخفش والله اعلم .

(قال ابن برى)

لم يرد ابن الحريرى بالمهموز ماأراده ابن الخشاب فى البيت وهو :

ولا تحسب الفعل الثلاثى والذى تعداه والمهموز فى ذلك يختلف لان ذلك لا يخفى على من له ادنى معرفة بهذا النحو الاترى انه لا يغلط احد فى مثل سلاء السمن ان يكتبه بالياء من جهة انه لا يقول احد سليت السمن وانما يقال سلأت السمن بالالف واذا كان الامر على هذا لم يكن لما ظنه ابن الخشاب بالحريرى وجه من الوجوه وانما اراد بالمهموز المهموز العين مثل شأى ونأى فان من الكتاب من يختار كتابه هذا النحو بالياء وكراهية ان تجتمع النانان فى الخط كما كتبوا يحيا ويعيا بالالف كراهية اجتماع يائين فى الخط و الذى يختاره ابن الحريرى ان يكتب المهموز العين بالالف اذا كان اصلها الواو ليطرد الباب ولا يختلف وليس اجتماع الفين كاجتماع الياءين الاترى ان الكتاب يقولون رأيت كسأ فيكتبونه بالفين ولا يبالون باجتماعهما .

وفى هذه المقامة فى الابيات التى جمع فيها حروفا مما يقال بالظاء :

(والشناظير والتعاظل والعظم)

وفسر العظم بانه الخطمى .

قال ابن الخشاب

ليس الامر بحمدالله على ماقال انما العظم الوسمة التى يختضب بها والخطمى ليس مما يختضب به بل هو مما يغتسل به .

[لم يقل ابن برى عنها شيئا]

المقامة السابعة والاربعون

قال فيها: (فان مثل الوعود كغرس العود. هو بين ان يدركه العطب. او يدرك منه الرطب)

قال ابن الخشاب

هذا كما تراه فان الرطب لا يجتنى من عود البتة انما هو من الجذع وهو مختص بالنخلة فاطلاقه عليه اسم العود الذى لبقية الشجر خارج عن استعمال العرب .

قال ابن برى

لم يرد ابن الحريرى بالعود ماارادة ابن الخشاب من انه جذع النخلة وانما اراد بالعود الجريدة التى تغرس فتنبت فان كمل نباتها وتم ادرك منها الرطب وان ادركها العطب لم ينل منها الرطب والنخلة تسمى شجرة قال سبحانه وتعالى

والنجم والشجر يسجدان» والشجر كلما كان من النبات على ساق وكل شجرة اغصانها عيدانها. بان بهذا صحة قوله لان الذى يزرع النخل انما يأخذ جريدة بليفها ويغرزها فى الارض فتنبت وتصير نخلة وبذلك ان النخل يسمى الشجر ايضاً قول النبى صلى الله عليه وسلم ان شجرة مثلها كمثل المؤمن لايسقط ورقها خبرونى ماهى ثم فسرها فقال هى النخلة. ويسمى الخوص ورقاً وورق الشجر انما يكون فى عيدانها و اذا ثبت ان الشجرة نخلة و ان خوصها و رقها ثبت ان جريدها عيدانها واغصانها

وفيها فى شعرها :

واياك والشكوى فلم ترذانى
شكا بل اخو الجهل الذى مارعوى عوى

قال ابن الخشاب

هذا بيت قاده تجنيس آخره الى نظم لامعنى له يتحصل.

[ابن برى لم يقل هنا شيئاً]

وفيها : (لفظ كالصهباء وفعل كالحصباء)

قال ابن الخشاب

الحصباء الحصى الصغار فالتشبيه الفعل المخالف للقول من المعنى .

قال ابن برى

اراد كفعل الحصباء فى الترامى يقال تحاصبوا اذا تراموا بالحصباء وايضاً فان الارض ذات الحصباء يصعب السير فيها وتشق على من يقطعها فى الحر والبرد من الناس والخيل والابل وغيرها من بهيمة الانعام فالسير فيها شاق مكروه والترامى بها ايضاً شاق مكروه والمعنى فيها صحيح على حذف المضاف وتقديره كفعل الحصباء .

المقامة الثامنة والاربعون

قال فى الابيات التى مدح بها البصرة :

ومغنىً لاتزال تغنى فيه اغاريد الغوانى والاغانى

قال ابن الخشاب

هذا البيت يروع بتجنيسه وذكر المغنى و تغنى الغوانى والاغانى فاذا استشف معناه الذى يدل عليه لفظه ضعف

جداً وكاد يكون فرغا بل ربما فسد وذلك ان الاغاريد من قولهم غرد اذا طرب والغوانى جمع غانية وهى الفتاة التى غنيت ببعلها عن الازواج او بحسنها عن التحسن على اختلاف تفسير اللغويين والاغانى جمع اغنية وهى المتغنى به فكانه لما اضاف الاغاريد الى الغوانى والاغانى قال يغنى فى هذا المغنى تطريب النساء اللواتى غنين ببعولتهن اوبحسنهن وتطريب الابيات التى يغنى بها وناهيك بهذا المعنى صحةً وحسناً .

(قال ابن برى)

ليس فى هذا البيت ما ينكر عليه لاعطفه الاغانى على الاغاريد وهما بمعنىً واحد وهذا جائز عند اهل اللغة لاختلاف اللفظتين على جهة التأكيد وذلك كقول الشاعر :

والفى قولها كذباً ومينا

والمين هو الكذب وكذلك قول الآخر :

وهنداتى من دونها النأى والبعد

وكذلك قوله جل وعز «لاترى فيهاعوجاًولاامتا» قيل هما بمعنىً واحد وكذلك «انما اشكو بثى وحزنى»

البث والحزن بمعنى واحد وكذلك قوله تعالى «لا تخاف ظلماً ولا هضماً» وكذلك قوله تعالى «ثم عبس و بسر» و«غرابيب سود» و«فجاجاً سبلا» وهذا النحو كثير جداً وهذا فيمن جعل الاغاريد جمع اغرودة الاغنية المطرب فيها ومن جعلها جمع غراد فاغراد جمع غرد وهو التطريب لم يكن فيه تكرير لانه يصير المعنى لا تزال الغوانى تغنى باغانيها وتطريبها فى هذا المغنى وهذا معنى صحيح لا افساد فيه والله اعلم .

المقامة التاسعة والاربعون

قال فيها: ﴿ وكن اجول من قطرب واسرى من جندب ﴾

قال ابن الخشاب

اى سرى للجندب حتى يضرب به المثل ويجعل من باب المبالغة فى هذا المعنى وانما الجندب طويل غايته ان ينزو كما ينزو الجراد انشد الاصمعى فى الاراجيز :

وقام للجندب ظهراً صرصره وحك فى جناحه اذ نشره

وظيف ساق خمسة موشره

﴿ لم يتكلم ابن برى على هذا شيئاً ﴾

وفيها : (واوقح من ذئب متنمر)

قال ابن الخشاب

وصف الذئب بالتنمر ردئ فى الاستعمال بعيد من منهاج كلامهم .

[ثم يذكر ابن برى هنا ولا فى مابعد ذلك شيئاً]

وفيها : (ومثلك لاتقرع له العصا. ولاينبه بطرق الحصا)

قال ابن الخشاب

اماقرع العصا فمعروف واختلف الناس فى اول من قرعت له العصا من حكام العرب واماطرق الحصا فضرب من التكهن وليس هذا موضع استعماله لانه لايريد ان مثلك لايتكهن له لامعنى لهذا الكلام ولافائدة فيه .

وفيها: (واما فرص الولايات. وخلس الامارات. فكاضغاث الاحلام. والفئ المنتسخ بالظلام)

قال ابن الخشاب

انتساخ الفئ بالظلام استعمال فاسد لان الفئ ظل قاء

من جانب الى جانب اى رجع من ناحية المغرب الى ناحية المشرق وحقيقة النسخ ابطال الثانى الاول فالشمس هى المنسخة لا الظلام لان الظلام ظل فى الحقيقة فالشمس ترفعه وترفع الفئ وهو ظل مخصوص فجعله الظلام منسخاً للفئ ظاهر الفساد .

وفيها : ﴿ وكن يابنى خفيف الكل . قليل الدل ﴾

﴿ قال ابن الخشاب ﴾

لاوجه لاستعمال الدل هاهنا لان الدل الحسن يقال امراة ذات دل وانما اراد الادلال من قولهم فلان مدل بكذا والدل لايستعمل فى موضع الادلال هذا ايضاً كما ترى وهذا المعنى اراد بقوله بعد اسطر منها (وجانب خرق المشتط وتخلق بالخلق السبط) والكل الثقل فكانه قال خفيف الثقل وقال فى الخامسة لاتتخذونى كلاً اى ثقلاً .

وفيها :

﴿ غراء حاوية خلا صات المعانى والزبد ﴾

﴿ قال ابن الخشاب ﴾

جرى على عادته فى استعمال الخلاصة استعمال خالص

الشيء وقد بينت فيما سبق ان ذلك خطأ وان خلاصة الشيء مايسقط منه عند تخليصه وتميزه .

[وقد مر كلام ابن برى على هذا]

المقامة الخمسون

قال فى المسمطة :

آهاً له بيت البلى والمنزل القفر الخلا
ومورد السفر الاولى و اللاحق المتبع

قال ابن الخشاب

الاولى فيما استعمل من كلامهم المشهور يراد به الذين كقول ابن دريد :

هم الالى ان فاخروا

وهكذا يقولون هم الالى فعلوا كذا اى الذين وليس مراده فى البيت هذا المعنى انما مراده الاول كانه قال ومورد لسفر الاولين اى المتقدمين ومن لحق بهم من الاولين والآخرين ولا اعلم الاولى فى معنى الاول مستعملاً فى كلامهم فان ثبت من جهة موثوق بها كان مقلوباً قدمت اللام فيه على الواو فصارت الواو حرف اعراب فانقلبت الفاً وكان وزن

الكلمة قبل قلبها فعلا فصارت فلعا لتقديم لامها وهي الالف على عينها وهو الواو والله اعلم.

هذا آخر الكتاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

obeikandl.com